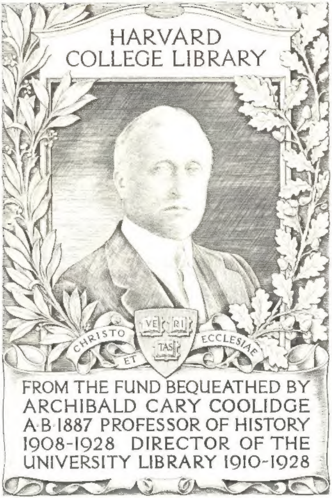
فوائد المصيف

قلادة المصيف

[illegible]


HARVARD
COLLEGE LIBRARY
VE RI TAS
CHRISTO ET ECCLESIAE
FROM THE FUND BEQUEATHED BY
ARCHIBALD CARY COOLIDGE
A·B·1887 PROFESSOR OF HISTORY
1908-1928 DIRECTOR OF THE
UNIVERSITY LIBRARY 1910-1928

رواية

غادة المصيف

رواية أدبية عصريه تهذيبية غرامية فكاهية خيالية

بقلم نخر أفندى سليم نجار

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بالمطبعة العمومية بدمياط سنة ١٣٢٦ هجرية

على نفقة ادارة المطبعة العمومية بدمياط

نستلفت أنظار حضرات القراء الى ماحوته هذه الرواية من المواضيع العصرية المفيدة كما اننا نؤمل أن تتطلع عليها فتيات اليوم وشبان هذا العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء الرواية

اليكم أيها الاعزاء اخوانى معاشر أدباء الدمياطين أقدم روايتى وبا كورة فكرتى وأؤمـل أن تحوز لديكم القبول كما هو قصدى وجل المرغوب وغاية المأمول

فما الكتب الا كالضيوف وحقها بأن تلتقى بالقبول وأن تقرى

كما هي نيتي ومقصدى الوحيد الذي أرمى اليه والسلام

المؤلف

فخر سليم نجار

مقدمة الرواية

حياك الله يا ممثلة لاخـلاق الشعوب والأمم وعافاك المولى يا معبرة عن الخفايا في الصـدور في سائر الايام وكل الدهور فأنت والحق يقال لاستاذ حكيم بين البرية ترشدين الشعب الى أسلك المسالك وأحسنها وتقومين اعوجاج النفوس

بما تلقينه على مسامعها وتميه في صدورها من الحوادث المدهشات والغرائب والادبيات والتواريخ والفكاهات . . . فالرواية الادبية هي تلك الممثلة البارعة وذلك الاستاذ الحكيم لما تحويه أوراقها من النصائح والحكم والامثال والآداب ولما تشتمل عليه صحائفها من نفيس القول وغريب الوقائع التى حدثت في سالف العصر وحاضره

والرواية أيضاً ما هي الا دروس أدبية اخلاقية تهذيبية سيارة فى كل بلد جوالة في كل صقع رحالة فى كل مهمه وواد سائحة في كل مجتمع وناد . كواعظ يتنقل بين الدساكر والبلاد . ليوعظ بين أهلها ولما كان الامر كما ذكر اذ يطلع عليها كل الشعب وتقع أعين الامة عليها وخصوصاً عامتها فقد توخيت فى تأليفها أسهل الالفاظ والكلمات وتتبعت فى طريق عند كتابتها ما يسهل على العامة فهمه وادراك معناه وما لا تمل مطالعته بل تلذ قراءته

هذا وأنى أعد نفسي الآن متطفلا على موائد الكتاب لاني رميت بنفسى الى هذا الباب ولكن ثقتى بجمهور الادباء عظيمة جداً وأؤمل ان يساعدوني أدبياً كى أتشجع الى أن أسير

في طريقي الى الامام واني لا أقصد ان أجني من وراء ذلك جزاءً ولا شكورا الا نفع الامة والبلاد وعلى الله اتمام كل مرغوب والسلام المؤلف

نخله سليم نجار

الفصل الاول

سفر ووداع

انبلج فجر اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٩٤ وما أخذت الغزالة ترفع عن وجه النهار برقع الظلام فبددت جيوش النجاشي بعساكر الاسكندر الا وكان السائر في ميدان بوابة الحديد (محطة مصر) يرى عربتين فخيمتين يسيران بسرعة تتبع احداهما الاخرى على بعد بضعة أمتار

فاذا تأمل السائر فيمن يركبونهما لوجد ان الاولى يركبها شيخ وقور والى جانبه جلست فتاته العذراء وتدل ملامح الشيخ وملابسه على أنه كبير السن ومن أرباب الثروة واليسار وأما الفتاة فغاية في الجمال ورشاقة القد واعتداله لا يشوب وجهها الا بعض اصفرار يدل لاول وهلة على أن بها مرض من زمن بعيد.

وأما العربة الاخرى فيركبها شاب بهي الطلعة حسن المندام ولكنه مقطب الحاجبين ملق بأبصاره الي نحو قدميه وتدل هيئته على انه مشتت الفكر مبلبله كأنه يفكر في أمور مهمة ذات بال

ولو تتبعهما السائر بانظاره لكان يرى ان العربتين قد وقفتا تجاه باب المحطة واحداهما تبعد عن الاخرى قليلا ثم يري ان الشيخ قد نزل وسار والى جانبه فتاته وهي تستند الى معصمه وتدرجا سلم المحطة ببطء يتبعهما الشاب الآخر حتى دخلا الى رصيف المحطة وهو يتبعهما متمهلا وبعدئذ دخل الشيخ بابنته الى صالون خصوصي من الدرجة الاولى (بريمو) أما الشاب فقد وقف تجاه نافذة الصالون ولكن على بعد وأخذ يرمق الفتاة بعينين دامعتين وقلبه يضطرب بشدة ويخفق ضاربا بين جنبيه

وبعد برهة خرج والد الفتاة من العربة وقد أقفل بابها علي فتاته التي كانت عيناها تذرف دمعاً غزيراً وذهب الى رجل هناك على رصيف المحطة يبيع كتباً وروايات وجرائد فاشترى بعضاً منها لقتل الوقت أثناء السفر كيف لا وقد كان

مولعاً بقراءة الجرائد وكتب التاريخ والروايات الادبية

انتهز الشاب هذه الفرصة • فرصة غياب • الشيخ عن فتاته فتقدم بقدم مرتجفة نحو النافذة ومد يده مسلماً على الفتاة التي كانت تبكي وهي حزينة كئيبة

وقال لها ـ أ هكذا تفعلين ياحبيبتي ، أتسافرين وتتركيني وحدي أقاسي لوعة البعد ومر الفراق ـ آه ما اقساك يا وهيبة وما أقسى قلبك

ـ كيف العمل اذن ـ والله قد حرت في أمري ـ كيف أصنع وماذا أفعل ياحبيبي وقد اشتد بى المرض وقد عادني الطبيب جملة مرار كان في أثنائها يظهر ان الحالة تحسنت ولكن لما والدي رأي هذا الاصفرار الذي اعتراني وفطن مني هذا الضعف الزائد وشهد أني قد تغيرت كثيراً عن ذى قبل خاف على حياتي واستشار الطبيب في أمرى فقال أنه لا بد لى من تغيير الهواء لان هواء المدن أقل نقاوة وأ كثر فساداً من هواء الخلوات ولذا فقد أمرني والدى وأوعز الى أبى بأن أتهيأ للسفر فأذعنت بعد المماطلة والمماحكة ولم أقو على مخالفته أبدا

وها نحن يا عزيزي قد عزمنا على التوجه الى مصيف رأس البر الجميل .... آه .... آه ... فلو تدري أيها الحبيب ما يجيش بصدري وما استكن مخفياً بين جوانحي لعذرتني لانه ما كان على خاطري ان ابعد عنك طرفة عين ولكن ما العمل والامور تأتي أحيانا على ضد الرغائب وطوراً الآمال تعكسها النتائج

فما كل ما يتمنى المرء يدركه   تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

ولكن أظن بل وأتأكد كما أتمشم ان وقت فراقنا قد لا يطول فان شاء الله عن قريب يمكنك تمضية جزء من الاجازة العمومية عندنا هناك بعد انتهائك من اتمام الامتحان هذا واطلب لك النجاح

(ما الفعل ما الرأي ما التدبير ما العمل) فقد حكم الزمان بما أحزنني ونغص عيشي .... آه حبيبتي .... اذ الامر كذلك والموقف حرج فاستحلفك بالله ان لا تنسيني من ذلك ... وهيبه تذكريني ... حبيبتي انقشي كلمة الحب والوفاء على قلبك ... ياغادة مصر يا أم الحسن ويا كاعب الحي ويا آلهة العفه ويا ربة الجمال أستحلفك ان لا تفكري الابن

أخلص فى الحب اليـك ريثما يمن علينا دهر البؤس والبلوى باللقاء .... والآن فمع السلامة حبيبتي وعشمى من المولى ان تنـالي هناك مناك ولا أراك الا وأنت زهرة يانعـة في روض الجمال ووردة مفتحة تحسدها العيون وترمقها القلوب فى حل وترحال ... مع السلامة . مع السلامة .... مع سلامة الله ولا تنسى وعـد أمس قال ذلك فتانا وأخذ يبكي بكاء مراً

فلم تجاوبه بكلمة ما لان الدموع بللتها وقدخنقتها العبرات فلم تقو على الكلام بل وضعت منديلا علي عينيها و بكت حتي كادت تصرخ من حزنها وتألمها لولا حراجة الموقف والحضور كثيرون فارتمت الي المقعد واهية القوى دامعه الطرف

فابتعد الشاب عن موقفه قليلالان الشيخ كان آتياً يتوكأ على عصاه وهو يتباطأ في سيره ويتأبط ما اشتراه من الكتب والجرائد .لانه خشي فضيحة الامر مع ان من رأوه كثيرون ولكنهم يجهلون من هـو وما دخل الشيخ وجلس الى المقعد واستوي في مجلسه حتى تحرك الطائر الميمون مولد الاشواق ومسعر نيرانها وجالب الشجون وقام يجر وراءه العربات الممتلئة

بالمسافرين والمسافرات فمندئذ وقفت وهيبة الى النافذة وقد علا صياح المودعين والمودعات وتلاعبت (المناديل) في الهواء واختلفت الاشارات وكل ذلك اشارة للوداع فودعته وودعها حتى غابا عن أبصار بعضهما وما تحرك القطار الا وجرى وقد سار كعاشق تسعرت في احشائه النار فقام يطلب الهرب والفرار وكأنه بابتعاده قد سحب روح فتانا من بين جنبيه فعض علي نواجذه وبكى حتى اسود الضياء في عينيه فضرب الارض بقدميه ثم وقف والتفت يمنة ويسرة كأنه لم يصدق ما رأى ومضى أو فكر بأن ما رآه كان حلما أو برق خلب من أخبار الخيالات امام عينيه ولما تحقق مما رأي وانقضى بكي طويلا وتنهد عميقا وزفر زفيرا محرقا وبعدئذ خرج مع المودعين والمودعات وهو لا ينفك عن اذلال الدموع وأخيرا مسح ما انفرط على خديه من لآلئ الدموع التي تبعثرت من مغاوص محاجره جزافا

ومن ثم ركب عربة فسارت بها الخيل خببا وهو جالس فيها وقد أسند خده بيمينه وتمثل بقول صريع الغرام

ودعتها وبودي لو تودعني   طيب الحياة واني لا أودعها

الفصل الثاني

(حديث على الطريق)

ابنتي . عزيزتي . سلوتي . مالى أراك كئيبة حزينة كسيفة البال

أترى يصف لك الطبيب الراحة والرياضة فى الخلاء لتكتسبي شيئاً من الصحة مما فقدته أثناء المرض ولم تزالى مشتته الفكر مضطربة الحواس

قال ذلك شيخنا بعد ما سار القطار طويلا وألني من فتاته سكونا مملا وشطوحا في عالم الوهم والخيال

قالت الفتاة ليس بى شيء من ذلك يا أبتاه وانما يعز على فراق الديار فتجدني والحالة هذه التى من نفسى داعيا للتفكر دائما فى أمورهذه الدنيا وتقلباتها الغير منتظمة الوضع والترتيب

آه . . . لا . لا . ابنتى . . لا تجعلى للفكر عندك من مكان ولا لذكري الديار الى فكرك سبيلا . ولا إن يكون لديك شغلا شاغلا مطلقا أبدا . يشغلك ويوسوس أفكارك . والا فقد كانت النتيجة ازدياد المرض بك ـ وأنت يلزمك بل ويحتم عليك بأن تقيسى نفسك بزهرة لفحتها ريح الشمال

البارذة فأذبلتها بعد ان أننت عودها الرطيب

تذكرى . تمني . وافهمى كل ماسألقيه الى مسامعك ويجب عليك ان تعيه في صدرك

أنت تعلمين بانك سلوتي الوحيدة .. ورفيقتى وشريكتي الآن بعد وفاة والدتك اذ لم يعد لى سواك من نصيب في معترك هذه الحياة

ـ نعم ـ يا والدي ومن ينكر ... تكلم فكلي آذان تسمع

ـ حيث الامر كذلك فاعلمى يا ابنتى المحبوبة ان حالتك الآن كتلميذ ذاهب الى دار العلم ومهبط العرفان ليتلقى فيه ما يقوم باصلاح حاله وتهذيبه ... فيصبح ما لكا لزمام العلم ملما بأحواله متحلياً بقلائده الحسان التي بواسطتها يصير رجل المستقبل ويحفظ لنفسه مركزا يشغله ليقوم بأود معيشته

فاذا أصغي الى كل ما يلقى اليه ويتلى عليه من المعلم بأممان وعمل بموجب نصائحه فقد نال المرغوب والعكس بالعكس

فاذا لم تضعي نفسك فى موضع ذلك التلميذ وعملت حسبما قال الطبيب الذي هو أشبه بالمعلم . وأتبعت نصائحه . فالنتيجة حينئذ مرة

كما وانه لو ضرب التلميذ بنصائح معلمه عرض الحائط ولم يصغ الى أقواله بأمعان وتعقل فانه لن يبوء بغير الخزي والخسران والندامة حيث لا ينفعه الندم . عزيزتي اسمعي لاقوال أبيك - هذا الشيخ الذي عرك الدهر وذاق مره وحلوه ولا تفكري بشيء سوى صحتك التى هي المحور الوحيد التي تدور عليه أفلاك حياتك والمحيط الوحيد التي تنتظم في دائرته أبراج سعادتك في هذا الوجود - أبتي كفي نصحا فقد عودتني ان أجد فيك الاب الحنون والوالد الشفيق فشكرا لك يا أبتي فسأعمل حسبما قال الطبيب

وبعدئذ تنهدت واسبلت من عيونها دموعاً سخينة انتثرت كالدرر فوق ورود وجنتيها الجميلتين فكأنها

بكت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

تنهدت . لانها تذكرت حبيبها لما سمعت لفظة تلميذ فرددتها في سرها مرارا لانه من التلامذة فبكت

- كفكفي دمعك الماطل ولا تكدريني - ولا تكدري والدك الشيخ الفانى

فكفكفت دمعها وجلست تتناول مع والدها شيئا مما

كان أعده للسفر وبعد فراغها من تناول الطعام أسندت رأسها الى كتف والدها وتنهدت طويلا واستسلمت للهواجس ولكنها رغما عن كل ذلك أغرقت في نوم عميق ونامت في سبات طويل ..... (نوم العافيه)

الفصل الثالث

(مقابلة صديقين)

فى رأد ضحى ذات يوم والشمس مرسلة بأشعتها الذهبية على المروج السندسيه الخضراء والحدائق الغناء والبساتين الجميلة الفيحاء والرياض الزاهرة والغياض الناضرة وقد أخذ النسيم يهب من الغرب فيمر بخطراته العليلة فوق هذه المزروعات والزهورات فأخذ يرعشها رعشات خفيفة فتتساقط عنها قطرات الندى التى كانت تتلألأ تحت نور الشمس التى كانت كأنها تسير ببطء فى الافق وهى لم تتعد دائرة الشفق كأنها لآلئا وماسات انتثرت فوق الطرقات والجسور فتندت بها المسالك والمضايق

فعلى أحد هذه الجسور وفي ذاك الوقت كان رجل يناهز الخمسين عاما يسير متباطئا كأنه أدركه التعب وتولاه

النصب من طول المسافة وبعد الطريق فاخذ يتباطأ في سيره وهو ينظر متمهلا ذات الشمال وذات اليمين يمتع أبصاره بمناظر الطبيعة وحسن مجالي بهجتها التي تسحر العقول بعجيب صنعها وتبهر العيون بغريب مناظرها التي تسر الفؤاد وتذهب عن قلب الضني الحزن

وبعد ان سار قليلا وقف بغتة وتنهد ثم سار قاصدا نحو باب لقصر خلوي قديم العهد لأحد أصدقائه القدماء

وما زال يمشي الهوينا . وقد أنهكه التعب حتى وصل الى محازاة سور حديقة القصر فاستظل بظل اشجارها الوارف وكان يتجه بسيره نحو الباب

وكان هذا القصر لاحد أعيان المصريين بناه في الخلاء في ضواحي مصر تخلصاً من جلبة هذه العاصمة وضوضائها . كيف لا وهو قد ألف الوحدة والسكون من بعد وفاة قرينته وابنته اللتين كان يحبهما حبا مفرطاً يقرب من العبادة فسكن هنا لك في هذا القصر بولده الوحيد الذي هو بطل روايتنا

فبينما كان صاحب القصر يمر في طرقات حديقته وهو يتفيأ ظلال أشجارها الدانية القطوف والنسيم يلاعب الاغصان

ويداعب الاثمار والازهار فيرعشها فتمايل ذات اليمين وذات اليسار فتجتمع تارة مشتبكة ببعضها وتتفرق أخرى فيروق له هذا المنظر فجعل يتمثل بقول من قال

أنظر الى الاغصان كيف تعانقت ⁂ وتراجعت بعد التعانق رجما

ومن ثم جلس هنا لك ريثما يستنشق عبير الزهور العبق واذا هو ألفت بصره نحو سور الحديقة الا ورأى شيخا فانيا قد علا لخمة رأسه بياض المشيب وهو يمشي ببطء ويتوكأ على عصاه وكان يقصد باب الحديقة

فتأمله مليا فعرفه لاول وهلة أنه صاحبه وخله القديم نخف صاحب القصر للقائه مسرعا . فلاقاه عند مدخل الحديقة (ولست أقول أكثر مما هو معلوم لدى القراء من الاقوال المتعارفة والالفاظ المترادفة التي تقال عند لقاء الاصدقاء والاحباب بعد طول الفرقة والغياب)

فقد عانقا بعضهما عناقا طويلا وقبلا بعضهما قبلات متوالية حارة أولها وآخرها

(١) أهلا وسهلا بالصديق فانني ⁂ من بعد بعدك قد سهرت لياليا

---

(١) للمؤلف

أهلا وسهلا مرحبا بصديقنا * أهلا وسهلا بالحبيب الغاليا

ردد لسان حالهما هذه الابيات وبعدئذ سارا الى جانب بعضهما يتمشيان فى أرض الحديقة وبين أفنانها ومن ثم جلسا هنالك الى مقعد تظلله أشجار من العبل والسرو والاثل واللبخ باسقة مشتبكة الاغصان والفروع اشتباك الحابل بالنابل فهناك على هذا المقعد وفي ذات هذا الوقت وتحت ظل الاشجار الظليل أخذا يتجاذبان أطراف الحديث فقال الزائر

ـ واللهاني لفي شوق شديد الى رؤيتك يا أحمد بك فكيف حالك ونجلك العزيز

ـ شكراً لك يا عزيزى فان شوقى لاضعاف أشواقك وحالتنا الان فلله على ذلك حمداً وشكرا فكلانا انا ونجلى زكى أفندى لمتمتعين بكل ما فيه راحتنا وسعادتنا ...... وأين كنت بطول هذه المدة الطويلة التي حرمتنافيها من زيارتك يا نعيم بك ... فقد احتجبت عنا مرة واحدة

ـ كنت أتنقل متسفراً ما بين هناوالاسكندريةودمنهور لازور ابنتي المتزوجتين فقد كنت مشتاقا اليهما جداً ولكني والحق يقال يا أحمد بك ما كدت أن أزور هذى وتلك حتى

تولانى الكدر من حالتيهما . قال ذلك ودلائل الاسف بادية على وجهه ـ ولما ذلك ياعزيزى ـ لاقدر الله لك كدرا ولا حزنا قال ذلك أحدبك وحلق بأبصاره نحو صديقه كأنه يريد استقراء مايمر بمخيلته ـ فابتدأ نسيم بك يسرد عليه الحديث فقال

غلطان من يغتر بغنى الشبان الآن ـ ومجنون من لم يخبر بنفسه أحوالهم فقد زوجت ابنتى لشابين من أغنياء هذا العصر ولكن فعيشتهما معهما كدر وعناء وكلها أحزان ومشاحنات .... تجد هذين الشابين كأنهما رضعا البان الفساد من ثدى واحد فهما يتركان زوجتيهما ويسافران الى مصر وهنا يصرفان أموالهما في معاقرة الكؤوس ومغازلة الحسان من اللواتي لاخلاق لهن ويبذران تبذيراً لا أنزل الله به من سلطان ويعودان وقد تلوثا بأمراض قتالة يخفيانها عن شريكتيهما فى معترك هذه الحياة وهنا كانت الطامة الكبرى فقد ابتليا ابنتي بما اصبحتا يتوجعان منه ويتألمان له وكل ذلك من جهل أولئك الشبان ـ شبان اليوم ـ رسل ابليس فى أرض الفراعنة وبلاد العالم .... وهنا بكى حتي تناثرت الدموع من عينه ـ فرثى له صديقه وقال بالله ما أتعس حظ.كن يافتيات اليوم وأعظم

بلاء كن ... نعم ... نعم فو الله لو كانت لى ابنة في الوجود لزوجتها القبر وفضلته لها زوجا عن ان أهب يدها لمن لا يعرف قيمتها ـ ولكن حيث قد سبق السيف العذل فكفكف دمعك أيها الصديق فقد أحزنتني قال ذلك أحمد بك وتنهد طويلا ثم قام وسار بصديقه الى القصر وهناك جلسا فى غرفة جميلة الموضع ثمينة الرياش والطنافس وأخذا يتحدثان وقد أمر أحمد بك خادمه بجلب القهوة ومن ثم قدم لصديقه سيكارا من هافانا وأشعلها له وقد أشعل هو أيضا سيكارا آخر واستمرا في حديثهما منتقلين من موضوع لآخر شأن أغلب الاصدقاء عند زيارة بعضهما وقد أتاهما الخادم بالقهوة المعنبرة ولفائف التبغ

الفصل الرابع

على ظهر الباخرة (عصفور)

كانت الساعة الثالثة مساء تقريبا لما وصل القطار المقل للشيخ وابنته الى محطة مدينة دمياط تلك المدينة الجميلة الموقع الواسعة الاكناف وكانت فتاته استيقظت على صوت جلبة الحمالين والنوتيه فقامت وقد وقف القطار وخرجت بوالدها

الى رصيف المحطه ثم عطفا يميناً وسارا الى الامام يتبعهما حمال حمل أمتعتهما فأوصلهما الى زورق شراعي القلع بهما تدفعه مجارى الهواء البحرى الجاف وتياراته الجوية المعتدلة وما زال سائرا يمخر فى ماء يحيط به قصور جميلة شامخة البناء على الضفة الشرقية لمجرى النيل حتى رسا الى جانب زورق بخارى كتب على مقدمته (عصفور) وكان يصفر مؤذنا بقرب وقت الابحار بالراكبين الى مصيف (راس البر) الجميل فصعد اليه الشيخ بابنته بعدأن أنقد البحار أجرته فأبحر النوتى بشراعه شاكراً ومرددا في قلبه آي الثناء والممنونية لحسن صنع هذا الراكب وابنته وكرمه (لله ما أرق طباعك ولين عريكتك أيها الدمياطى الفقير وما أرق شمائلك وبشرك وسماحتك حينما ترضى بالقليل وتردد حمدك لربك حيث تقول

(القليل بالحمد يورث البركة والكثير بالبطر يجلب القلة) فعش هانئا ما دمت قانعا وبت شاكراً ما أولاك به المولى من رزق ونصيب) .... ردد تلك الجملة شيخنا في سره لما تأمل في حالة هذا النوتى وقارن بينه وبين حوذى مصر

. . . .

دنا الوقت الذي تبحر فيه الباخرة المقلة لجمهور المصيفين من كرام المصريين والاجانب وأغنيائهم فأقلعت الباخرة مراسيها وسار المصفور يشق عباب ماء مجرى النيل السعيد بحيزومه تجري باسم الله مجراه وهو يسير بحسب تعاريج النهر الطبيعية ما خرا بين قصور شيدت على الجانبين ورياض زاهرة ومزارع واسعة وقد غرست أشجار النخيل على الضفتين وهي كالعرائس المسبلة الشعور

وكأنما شجر النخيل عرائسا * يجلون في حال الشعور المسبل

وما زال يسير كذلك الى ان وصل الى المرسى . فألقي مراسيه ونزل جميع من فيه ... وكان في ذلك الوقت وعلى قرب من ذلك المرسي وقفت جماهير العائلات من المصيفين رجالا ونساء وأولادا وبناتا متفرجة على القادمين فكان الواقف بين هاته الجموع يرى أن هذا يقبل ذاك أو تلك وهذه تعانق أخرى وهكذا والكل في فرح عظيم وسرور تام لملقا بلهم أصحابهم وأصدقائهم وأقاربهم

ومن ثم انفرط عقد المجتمعين فسار كل بأصحابه أو بأقاربه ومعارفه الى حيث يقصدون أو يجدون لهم غرفا يأوون اليها

فى فنادق المصيف التى اصطفت بناياتها الفخيمة (التي من القش) كالاستحكامات بطول الشاطئ الغربى للنيل وكان بين هذه الجماهير شيخنا أحمد بك وفتاته العذراء التى اتجهت اليها انظار هذا الجمع وحمحمت حولها أبصار الرائحين والغادين من شبان وشابات المصيف فهذا الشيخ سار بابنته وراء حمال يمشي الى جانبه ترجمان (فراش) مرتد بلباس قصير (بنطلون) ليس أطول من ركبته حافي القدمين وعليه فانلة (قميص) اسود كتب على صدره بالحرير الابيض على هيئة هلال (Hotel Miai el-Nile)أو بالعربية فندق مرأي النيل

وما زالوا سائرين نحواً من خمس دقائق حتى وصلوا الى الفندق الموسوم بهذا الاسم فقابل صاحب الفندق أحمد بك وفتاته بكل بشاشة وأيناس كما هو المعهود فى أصحاب الفنادق المهمة ومديريها

وهناك سار بالبك وابنته وأعد لهما غرفة بحرية شرقية غربية جميلة جداً ذات سريرين مطلة ببلكونتها على النيل وكانت غرفته نمرة (١٧)

* * * * * * * * * * * * * *

﴿ خطوة الى الوراء ﴾

لما أبحر العصفور وهو يسير مسرعا بقوة البخار وقد ابتعد عن المساكن واستقبل بحيزومه الماء والهواء التي دار الحديث بين الشيخ وابنته التي كانت تجول بأنظارها يمنة ويسرة تمتع الطرف بهذه المحاسن الطبيعية والمناظر الجميلة وتتذكر الحبيب فتكتئب وتظهر على وجهها علامات التفكر والذهول والاضطراب فتتنهد بتألم متوجعة

فقال الشيخ ـ وهيبة : ما هذا الحال ؟ أأراك دائما في اكتئاب وحزن بالله دعي عنك مايشغل فكرك واستقبلي نسمات هذا المساء العليلة فهي في الحقيقة ونفس الامر تنعش الارواح فضلا عما يكتسبه الجسم من النشاط ... وأنظري .. فأنك هنا وهناك مهما سرحت بانظارك ورددتها يمينا أو شمالا وشرقا أو غربا فأنك قد لا تجدين الا خضرة تروق رؤيتها للعيون ... وماء رائقا جاريا كمعتوه اختبل عقله أو مس بالجنون يلاعبه النسيم فيتجعد ويهب عليه الهواء فيتناثر على صفحاته الحباب فيتعقد تربنه كالدرر واللآلئ ـ والجواهر اللامعة الغوالي : أنظري ـ أنظرى كيف يجعد

من خطرات النسيم ثم يعود ويصقل كالمرآة عندسكونه وغير ذلك مما يبعث الفرح في القلوب وينعش الارواح !!

فقالت ـ آه ؟ ياأبتي وقد تنهدت مرات متوالية أرى كل ذلك وهذا هو الداعي الوحيد لتأملاتي فاني أجلى صنع الخالق المجيد قالت ذلك وعيناها ناظرتين الى قدميها ولكن من ذاق لذة الحب وعرف مره وحلوه ولو قليلا لا يهتم ان ينكر عليها ذلك فما هذا التأمل الذي اعتراها والجمود الذي تلبسها الا من افتكارها بزكي ـ حبيبها ـ الذي سلب لبها وسكن في صميم قلبها وجعلها أسيرة هواه . . . . . (صبر الله قلوب العاشقين ! !)

ما كادت الفتاة تتم حديثها حتي قال أحمد بك ما أوفر حكمتك ياوهيبة وما أزكى فؤادك وتوقد قريحتك ولكن كفي ذهولا وشخوصا وتأملا في هذه الخيالات الوهمية وكوني مستريحة الخاطر اذ ليس وقت المرض ينفعه التأمل والجمود أنظري أنظرى الى من هم حولك فهذي بحدث وتلك تسمع وهاته تضحك والكل في ضحك وسرور وانشراح ولكني أراك الوحيدة بينهن حزينة البال ـ تكلفت

الفتاة ابتسامة لطيفة اهتز لها قلب ذلك الشيخ فرحا ومن ثم جعلت تحادثه ويحادثها وكان لا يقطع حديثهما الا بعض تنهدات عميقة متقطعة تخرج مع أنفاسها من اعماق قلبها وفؤادها المكلوم الملذوع بنار الهوى وما زالا كذلك حتى وصل بهما المصفور الى المرسي وحدث كل ما سبق ذكره

الفصل الخامس

(حضور التمثيل بعد الوداع)

جلس فتانا الى مقعد في غرفته الخصوصية بعد أن رجع من وداع وهيبة وكان الوقت شديد الحر فخلع عنه سترته ورفع طربوشه من رأسه ثم ألقى بهما الى جانبه على مقعد آخر وأشعل سيكارا ثم وضع يسراه على خده وأخذ يضرب الارض بقدمه وهو يضرب اخماساً لاسداس وجعل يفكر في سفر حبيبته على غير ما كان ينتظر ويود وصار ينفخ دخان سيكاره ويتنهد ثم ما لبس ان وقف بغتة وظل واقفاً مدة كأن أمراً خطر بباله ثم عاد وجلس وقد أطلق لفكره عنان التأمل حتى جمد في مكانه وأمسى كأنه كالجمادات ولما ان أعياه فرط التأمل وطول الافتكار ومره وألم الذكرى وحرها قام

ونفض عنه غبار الخمول الذي اعتراه والكسل الذى تولاه وراح مكبا على مكتبته يعيد دروسه ويقلب طروسه ويستعيد ذاكرته حيث قد افتكر تلك الجملة المذبة التى فاهت بها وهيبة قبل السفر فى وقت الوداع حيث قالت له (إن وقت فراقنا قد لا يطول فان شاء الله تمشم انه عن قريب يمكنك تمضية جزء من الاجازة العمومية عندنا هناك بعد تأدينك للامتحان (وأطلب لك النجاح)

فأخذ يرددها مرة بعد أخرى وكلما يأتي على آخرها يجد فى نفسه باعثاً قويا يحثه على الجد والمثابرة على الدرس والاعادة فمنذئذ هوي بكليته وبقوة عزمه على الدروس يعيدها مراراً حتى باتت مسطرة في مخيلته وبارزة امام عينيه ومكنوزة فى صدره فأقدم على الامتحان بكل جرأة واقدام حتى أداه بكل نجاح وفوز باهرين وقد حاز بذلك مسرة والده وابتهاجه ومحبته

(وكذلك كل فرد يبلغ درجة الفوز والفلاح فانه يكتسب محبة الوالدين واعتبار عقلاء القوم له فينال من عطاء والديه الوافر ما يجعله سعيداً بين أخوانه فضلا عما يصير فيه

من رفعة المقام فيصبح موضوع اعجاب جمهور العقلاء فياحبذا لو ترك التلامذة كل ما يلهيهم عن اشغالهم ودروسهم ويشغلهم عنها وثابروا مثل ذلك (العاشق) على المذاكرة والدرس

حيث نحن الآن في زمن يحتم علينافيه اقتباس أنوار العلوم من مطالعها وارتشاف كؤوسه العذبة من منابعها والتخلق بالاخلاق الحميدة والسير على الطريق السوى كي تنال البلاد بأبنائها ماهي في عوز اليه شديد من التقدم والفلاح والسعادة وما السعادة الاهي عين التحلى بالعلوم والالمام بالفنون والمعارف والآداب

. . . .

ظهرت نتيجة الامتحان بعد عدة أسابيع فوثق الفتي من نجاحه في الامتحان النهائى وبذلك فقد نال شهادة فى الفنون الهندسيه الصناعيه (دبلوم) من مدرسة الفنون والصنائع الخديويه

ولما تأكد من ذلك اهتز قلبه فرحا وامتلأ فؤاده سرورا وتولاه فرح وبشر ..... كيف لا وقد صار على ثقة كبيرة من أن والده يسمح له بالتوجه اقضاء جزء من

الساعة في مصيف رأس البر لكنه كتم ذلك عن والده ولم يفاتحه حتى يتهيأ لذلك

وما هجم زنجي الليل بسودانه على أبيض النهار وأخدانه وهزم عساكره فبدد شملها وولت مدبرة شذر مذر حتى استأذن الفتى من والده على أن يقضى جزءا من الليل مع بعض أخوانه التلامذة في أحد دور التمثيل فأذن له أحمد بك بذلك

توجه فتانا وانصرف من حضرة والده شاكراً فالتف حوله في شارع كامل الموصل لأزبكيه مصر الواصل الى نحو دار التمثيل لفيف من أصحابه حيث كانوا ينتظرونه في ناد هنالك فسار بهم الى دار التمثيل وكان سيمثل ليلتئذ زواية مهمة غريبة الوقائع مدهشة المناظر مؤثرة الكلم ثمينة المواعظ والحكم ألا وهي رواية (روميو وجوليت)

وصل بهم ألى هذه الدار فولجوها واتخذوا مقاعداً لهم وما استووا في جلوسهم حتي ابتدئ بالتمثيل وكان باللغة الفرنسوية وهى اللغة التي رضع ألبانها أولئك الشبان منذ طفوليتهم

مثل أغلب فصول الرواية وأتي دور فراق روميو لحبيبته

جوليت بسبب نفيه الى ڤيرون لقتله ابن عمها

ولما شهد فتانا هذا المنظر المؤثر .... منظر السفر والوداع الاخير بينهما أثر فى فؤاده فاضطربت حواسه لهذا المنظر المحزن الذى يبكي قلب كل شجي حزين ... فطفرت من محاجر عينيه الدموع جزافا وانفرط عقدها فانتثر على خديه فوضع منديلا على وجهه وأخذ يبكى

فذهل لذلك أحد رفاقه وكان يدعي فريد فابتدره قائلا .... مابالك ياعزيزى ٠ وما حدث لك ٠ وما الذى حدى بك الي هذا البكاء أنظر أنظر يارفعت أفندي فأن زكيا يبكى

أخذ الرفاق يتضاحكون بابتسامات لطيفة لانهم عجبوا من أمره لانهم كانوا يجهلون حالته الغرامية المخفية فكلما زادوا ضحكا زاد هو في البكاء حتى اذا لم يقدر على الصبر وهو على تلك الحالة قام بأخوانه وخرج بهم وركبوا عربة سارت بهم متباطئة وما استووا فى مجلسهم وهم سكوت الاوقطع وريد هذا السكون فريد وقال لزكي بحالة استفسار

بالله هل تأثرت حقيقة من فصل الوداع حتي بكيت وما نطق بذلك حتى شخص كل الأخوان بابصارهم الى الفتي

الذي كان يتنهد تنهدات طويلة متواصلة منتظرين جوابه وهم يستغربون

فأجاب الفتي بلطافة ووداعة . ليس هذا وقت الضحك ياأعزائي وأرجوكم ان تدعوني ساكتا لان قلبي يضطرب بشدة وأري نفسي حزينا فاعفوني الآن من اجابة هذا السؤال قال ذلك وتنهد طويلا

استغرب الرفاق . وانكروا عليه هذا الحال . لانهم عهدوه أيام التلمذة أنه (ابن حظ) فازدادت دهشتهم وطال استغرابهم لمارأوه قدعاد الى البكاء فأخذوا يلطفون منه الحالة ويسامرونه بالاحاديث المسلية والنكات الادبية حتي أوصلوه الى منزله ومن ثم عكفوا هم راجعين بالمربة وقد دار بينهم هذا الحديث

فريد ـ مارأيكم اخواني في حالة هذا الشاب المدهشة . وأطواره المتقلبه وديع ـ لست أدرى والله ما الداعى لهذا البكاء وهو أول الناجحين من فرقتنا هذا العام اذ كان الواجب عليه ان يكون قرير العين منشرح الصدر مسرور الفؤاد

وجدي ـ يلاحظ لى مما هو فيه أنه عاشق متيم لان

دلائل الحب لاتخفى على أحد كحامل المسك لايخلو من العبق

ألم تروا كيف كان يتنهد وهو يمسح دموعه .. وألم تشاهدوا عليه اضطرابه وخفقات قلبه وقلما ودعت (جوليت روميو)

فريد ـ نعم ـ نعم ـ فما هو الا كذلك ولكن بمن ترى قد انشغل فكره ولمن أوهب قلبه

وديع ـ بالله دعونا من هذا الحديث فلسنا من أرباب الهوى والصبابات وكانت العربة وصلت بهم الى ميدان عابدين فترجل راكبوها وذهب كل الى منزله

....

ما كاد يصل فتانا الى قصره حتى ولج الباب مسرعا ثم توسط الردهة السفلى ثم انعطف يمينا وصعد أربع درجات من السلم ومن ثم دخل الى مخدعه وخلع عن ملابسه وارتدى بملابس النوم واضطجع الى سريره وهو مشتت الفكر! ولكنه مسرور الفؤاد ولبث يكافح جيوش الكرى حتى غلبته نخضع لقوة سلطانها صاغراً وما هي الا برهة حتى اكتحلت عيناه باثمد الكرى

الفصل السادس

(عيشة العشاق أحلام)

لله ما أمر الفراق على المحب المشتاق. وما أصعب النوي علي من حالف قلبه الجوي. وما أقسي قلب الزمان حينما يداهم قلوب العاشقين بالاشجان فما كاد ينبلج فجر اليوم التالى لوصول الشيخ بعذراته الى رأس البر حتي نهض من مضجعه مبكراً وأيقظ كريمته فقامت وهيية وبعد ان أصلحا من شأنهما خرجا الى بلكونة غرفتهما وجلسا يستنشقان نسيمات الصباح العليلة التى تنعش الارواح ولكن أنى لتلك الفتاه من ذاك الانشراح وهي مشتتة الفكر كثيرة الهواجس والاحلام

لانها ما كادت تجلس الى جانب والدها لاستنشاق النسيم وسرحت بأبصارها فيما حولها الا وقدهاجتها الافكار بجيوشها ونزلت بوادى فؤادها حملات الافكار والهواجس فزفرت زفيراً محرقا وادممت عيناها الجميلتان دمما غزيراً فاسندت رأسها بين يديها وبكت

فما كان أشد كدر الشيخ من هذا الحال الذي يحزنه ويورثه النصب في سكونها فأخذ فى ملاطفتها ومحادثتها فلم تسكت

وما كفت عن النحيب

وللمامل هو من ذلك وهي أيضاً ما انفكت تبكي وما برحت تسكب الدموع قام بعد أن وثق من عدم اطاعتها له بالكف عن البكاء وقال في نفسه .. لا .. .. ان في الامر حاجة مخفية .. وأنه للغز ترتعد منه فرائصي .. وتضطرب له أعضائي ـ ويخفق منه قلبي جزعا ... فبئس كل فتاة كانت هكذا . وبئس بئس حياة كلها نكد واحزان

ومن ثم تركها ونزل ثم سار الى أحد النوادي الاجتماعية ليسلي نفسه مع من يتلاقى معه من أصدقائه أو معارفه المصيفين فسار قاصداً نادياً كبيراً فخماً كتب على لوحة من القماش باعلى جهته الامامية (North Egypt Bar) أو ما معناه بالعربية (بار شمال مصر) فهناك في هذا الباب اجتمع بأحد أصدقائه الاعزاء الا وهو عبد الله بك فجلس معه وابتدأ يلعب وأياه زهر النارد (الطاوله)

....

نزل علي بك وما كاد يطأ آخر السلم الا وقال لوهيبه . كفكفي يا بنتي دمعك الباطل فان صحتك ليست على مايرام .

وليس كذلك يكون افتكار الاهل والديار فظلت كما هى فتركها وسار الى حيث قدمنا

أما الفتاة فقد كفكفت دمعها وقامت ودخلت غرفتها وفتحت حقيبتها الخصوصية وأخذت منها قرطاسا وقلما وسطرت لحبيبها كتابا حبرته من سواد العيون وشرحت فيه حالتها من ساعة فراقه الى ذلك الوقت ثم ضمخته بعطر زكى الرائحة وغلفته وأرسلته الى البوسته مع خادم الفندق

وبعدئذ انطرحت الى سريرها .. وقالت وهى محزونة الفؤاد آه . آه . آه . ما أشد بليتي . وما أعظم مصابي . وما أكثر شقائي ولوعتى وما أوفر تعاستى . فأنا . أنا . التى قد أوقعت نفسي في شرك الغرام الغرار باختياري فلعب بي الوجد وطوح بي الهيام .

ولكن آه . فما ذلك الا لما أراه في زكي .. لما أراه في حبيبي من جمال الخلقة وجميل الخلق . ولين العريكة وطيب السريرة ولكن كيف ... آه . وياترى ماذا ستكون النتيجة أفهل يرضى والدى بان يزفني اليه .. وهو ذلك الأب العنيد ... نعم أنه حنون ورقيق القلب يرأف بحالتي ولكنه قاس

شديد الحكم على مع اني وحيدته وسلوته فى هذه الحياة فلا يمكنني مخالفتـه أبدا اذا عتا على وتجبر .... آه ياطول عذابى ويافرط تعذيبي وعندئذ تنهـدت تنهـدات طويله وتقلبت على أحر من نار الجمر ثم استسلمت للهواجس والافكار

وبعد برهة عنت لها فـكرة أزعجتها واقلقت افكارها فاسود الضياء فى عينيها واضحى النهار كالظلام فقالت وهي تتأوه وقد لطمت وجهها بيديها .. تعيسة أنت ايتها الحياة ـ تعيسة يادار الشقاء والاكدار . سألنى والدى ما السبب لبكائك فاجبتـه ذكري الاوطان وألم فراق الاهـل والديار وماذا تكون حالتى معه وماذا يكون نصيبي من لعنات غضبه على لما ينفضح أمرى وينكشف لديه غطاء هذا الغرام ... انه لاشك ينزل على نقمات غضبه ـ ويوجه الي سهام تقريعـه وملامـه .. فكيف تكون حالتى ياترى بعد هذا النكران والمواربة أواه . لطفا من لدنك يا ربى فقد كدت أقضى من فكري

فكرت بالحب فازدادت بلياتى [1]

من فرط همى ومن عظم الصبابات

[1] للمؤلف

وظلت على هذا الحال تتضاربها الافكار وتتجاذبها الاوهام حتى انتهت الى فكرة يمكنها بواسطتها من مداهنة أبيها وخدعه

فعولت على عدم البكاء أمامه وعزمت على اظهار البشاشه فى حضرته وابداء سرورها لوجودها في هذا المصيف

وقد كان السبب الاقوي الذى دعاها الى ذلك هو عند ماوقفت امام المرآة تمشط شعرها الذى كانت تعبث به نسيمات الغرب في الصباح وألفت من وجهها اصفراراً لم تكن تعهده من قبل وفى عينيها احمراراً جملاها ترثى لنفسها وتئن وتتوجع فتمتمت فى سرها

بماذا ينفع الحب والحبيب .. اذا كانت صحتى ليست على مايرام

(١) فلا ينفع الانسان حب حبيبه
اذا كانت الابدان حل بها المرض

ومن ذلك العهد ابتدأت تبش وتهش في خلواتها وحضراتها ونسيت أو تناست الفراق والحب الحبيب وكأن كل ذلك

(١) للمؤلف

لم يكن ولكنها عللت نفسها بقرب قدوم الحبيب ... .

. . . .

عاد على بك من النادي وهو يفكر في حالة ابنته المحزنه وحالها الغير مرضي وما كان يحسب أن بين غمضة العين وانتباهتها تتغير الامور وتتقلب الاحوال وتتقلب الاطوار فقد انقلب فجأة من حزن عميق وتفكر طويل واكتئاب شديد الى سرور زائد لما قد رآه في ابنته من الانشراح والسرور

فما وصل الى باب الغرفة ودخلها حتى قامت وهيبة وهي باسمة تقابله فقابلها الشيخ ودموع الفرح تنهمر من عينيه فضمها الى صدره بحنان وقبلها برفق بين عينيها وقال وقد تأثر من هذا المنظر المفرح العجيب .... نعماك يابنتي نعماك . ومتعك المولى بالصحة والعافية فقد شرحت مني الصدر وانعشت مني الروح

- شكرا لك يا والدي العزيز - فها أنا قد عولت على عدم افتكار أي شيء مطلقا وما عولت الا على الاهتمام بصحتي وتحسين حالتي التي أصبحت أخشى واتخوف منها ....

ولكن ... ولكن يحزنني وجودي هنا وحيدة لا أحداً يؤانسني أو يسامرني . ولست أدري مكان فتاة من معارف هنا . حتى أتسلى معها

من الذي الزمك بالمكوث في غرفتك كل هذه المدة فانظري تجدي ان كل جماعة من رجال ونساء وفتيان وفتيات يخرجون الى النزهة زمراً وهم زرافات ووحدان .. وان شاء الله في هذه الليلة سنزور صديقنا عبدالله بك في منزله بالعشة نمرة (١٤) بالصف الرابع فهناك تجدين كريمته نعيمة صديقتك ورفيقة تلمذتك

ـ يسرني ذلك يا والدي المحترم ولكنني أعاف الذهاب الى هناك لان نجله .... لان نجله .... لان نجله قبيح السيرة فظ الطباع غير مرب التربية الصحيحة فضلا عما صرف عليه من المصاريف الباهظة في المدارس ـ ماذا ؟ نجله .... ؟ مالنا ولهذا الفتي ... أفهل له علاقة بك أو حديث : قال ذلك علي بك بتعجب واستفهام

ـ لا ـ لا ـ وحياتك العزيزه . وهل تعتقد في مثل ذلك ؟ وهل سبق تحادثت مع شبان ؟ لا وأنما سمعت من أختـه

نعيمه أنه فتى متكبر فظ المعاملة معها وهى أخته ابنة أبيه وأمه - فهى لاتحبه بالنسبة لذلك

- لا - لا - اتركينا من هذا وذلك فليس لنا شأن معه وليس له معنا شؤون مادمنا احراراً نحافظ على صون شرفنا ونذود عن كرامة عرضنا - فليس له اذن معنا شأن مطلقا ما دمنا اشرافا

....

أمسى مساء هذا اليوم وقد أنيرت المصابيح الغازية على شاطئ النيل وبين الاعشاش اذ كل فندق أشعل أنواره البهية وكذلك كل منزل (عش) فكان يخيل للقادم على النيل من مدينة دمياط الى رأس البر ولم يكن له عهد بزيارة المصيف من قبل ان هناك فرحا أو احتفالا بمهرجان

فبعد أن سطعت الانوار وابتدأت المنارة تدور باشعتها الفضية الجميلة غربا وشرقا وجنوباً تناول على بك ووهيبة طعام العشاء على مائدة خصوصية في الفندق ومن ثم قام بابنته وارتديا ملابسا كافية تقيهما رطوبة الليل وبارد الريح التى هبت ليلتئذ صدفة من الشمال

أما وهيبة فضلا عن انها أثقلت نفسها بالملابس فقد ارتدت ملاءتها المزركشه وتقنعت بحجابها الرقيق الابيض الشفاف وسارت الى جانب والدها وكانا يقصدان عشة نمرة ١٤ صف رابع فوصلاها وهناك اجتمع علي بك بعبد الله بك وأما وهيبة هانم فقد اجتمعت بصديقتها نعيمه هانم وهناك وفي ذلك الوقت وفي هذا المكان تكامل عقد جميل من الهوانم وهن بعض كريمات أعيان المصيفين

فقضوا جميعا سهرتهم بكل سرور في الحديث والسمر وانصرف كل الي حيث يسكن ففي تلك الليلة نامت وهيبة هانم نوما هادئا وهي تحلم أحلاما لذيذة

(١) وما عيشة العشاق غير توهم يقضونها وصفاؤها الاحلام

الفصل السابع

(حديث الصديقين)

بعد ان جلس نعيم بك الى جانب صديقه أحمد بك وشربا القهوة قال أحمد بك أن سروري اليوم تضاعف مرتين

---

(١) للمؤلف

بالنسبة لتشرفنا بزيارتك أولا ولنجاح ولدي في الامتحان ثانيا

ـ فشكر له نعيم بك واردف شكره بعبارات التهاني وطلب لنجل صديقه حسن التوفيق ثم سكت وبعدئذ قال وقد اعتدل في مجلسه وأي شهادة نالها نجلك يا أحمد بك

ـ نال شهادة (دبلوم) في الصناعه الفنيه

ـ وبأي مدرسة تلقى العلوم يا ترى: أهنا ؛ أم في الخارج

ـ لا. هنا في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية

ـ ولم لم تلحقه بمدرسه أخري أرقى من هذه المدرسة أفهل تريد أن يشتغل وظيفة فنيه ـ أوهل يروق لديه أن يكون صانعا وهو من شبان العصر الحديث

ـ ولم لا يكون صانعا : الم تسمع ان صنعة في اليد أمان من الفقر ـ وقد قيل انها تطيل العمر

ـ نعم نعم حقيقة وما الذى تلقاه في تلك المدرسة المهمة من العلوم بخلاف هذه الصنعه

ـ تعلم كثيراً ودرس فيها علوما نافعه مفيدة جداً تساعده في تحسين صناعته فن هندسه عمليه ومستويه وفراغية ووصفية وعمل كروكي للاجسام وكيميا وطبيعة وحساب وجبر

ولو غرتمات وحساب المثلثات والمنحنيات ورسمها وميكانيكيات وعمارة وري ورسم نظري وفني وعملي وطبوغرافيا ولغة انكليزية وافرنسيه وغير ذلك من العلوم والفنون المهمة المفيدة النافعة

ـ انه لامر جميل جداً فهو والحالة هذه ملم بجملة معلومات مهمة تمكنه من إشغال أى وظيفة فنية في الهندسة والادارة

نعم ـ نعم ـ فهذه المدرسة هي الوحيدة في بابها بين المدارس الاميرية الخصوصية التى تدرس فيها العلوم العالية والفنون الجميلة الراقية باللغة العربية وهي لغة الوطن المحبوبة

ـ أباللغة العربية . أبلغة البلاد تدرس جميع هذه العلوم المديدة وهل توجد الكتب والمؤلفات التى تلزم لتدريس هذه الفروع

ـ نعم يا عزيزي فأن كل استاذ في هذه المدرسة كلف رسميا من منذ مدة بتأليف كتب باللغة العربية لتدريسها بالمدرسة فألفت وجاءت وفق المطلوب وهي لغاية الآن تدرس بواسطة أولئك الاساتذة العلماء

ـ يا له من معهد علمي عظيم

ـ حقيقة أنه لعظيم ومفيد للوطن جداً وعلى ظني أنه كان الواجب على آباء التلامذة أن يلحقوهم بهذه المدرسة اذ هى كنز ثمين ـ قال ذلك بصوت عال ثم أخفض من صوته وقال وتعلم ياعزيزى أن البلاد لفى احتياج الى الصنائع حتى يمكنها أن تستغني بمصنوعاتها وباختراعات أبنائها عن مصنوعات الخارج يوما ما

ومن المشهور عن طلاب هذا المعهد الصناعى العلمى انهم ذوو همة ونشاط وكد وجد واجتهاد يفوقون بأعمالهم الفنية ماسواهم

فهم يقومون بأشغال وظائفهم خير قيام حينما تلقى اليهم مقاليد الوظائف التى تليق بأمثالهم النجباء فكم من الوظائف العالية وغيرها شغلها بعضهم فقام بأمورها خير قيام وادى الواجب عليه نحو الامة والوطن بكل امانة وجد ونشاط كما هو المطلوب من همة أمثالهم . . . ولكن فضلا عن ذلك تجدهم قليلى الحظ مع أنهم نبهاء

فسأل نعيم بك باستغراب ودهشة ولم ذلك :

ـ ذلك لامور تحجبها عنا حجب كثيفة ـ وبالاحرى

فهذه من السياسات التي لا أريد أن يرن صدي كلماتها في اذني ـ وبعبارة أخري فانها هي سياسة استبدادية عند قوم أو أفراد ظنوا أنهم أصحاب البلاد وملاك رقاب العباد وأرواحهم

ـ دعنا من السياسة فأنا أيضاً لا أميـل اليها ولست من أربابها ولا ممن يتباهون بالتشدق بها في روحاتهم وغدواتهم وفي أغلب مجتمعاتهم اتركنا ودعنا من هذي وتلك فمـا وراء السياسة الا تعب الافكار وما الذي عولت عليه بالنسبة لنجلك استدخله في عداد مستخدمي الحكومة

ـ حكومة : قال أحمد بك تلك الكلمة بلهفة ثم لم يصـبر حتي قهقه بصوت عال ثم قال . لا . لا . فهـذا الذي لا أرضاه لابني أبداً . فأنني ماأرسلت به الى المدرسـة الا لكي يكون حراً في أعماله في مستقبل أيامه مستقلا بادارة أشغاله * لا ضاغط يضغط على أفكاره ولا رئيس يتحكم فيه .... فقـد عولت على أن افتتح له فاوريقة (ورشه) يكون هو صاحبها ورئيس صناعها ومديرها العامل وبذلك يكون وفي الواجب المطلوب من كل فرد تحويه أرض البلاد

نعمّ ـ نعمّ ما فعلت ـ ونعمّ . نعمّ ماعليه عولت ـ ونعمّ نعمّ

ماعلية عزمت ـ أكثر الله من أمثالك وأمثاله ـ فهكذا هكذا يكون الرأى وهكذا هكذا تكون الافكار كلل الله أعمالك وأياه بالنجاح وأؤمل ان تكون قدوة خير لغيرك من الآباء والاولياء .... قال ذلك نعيم بك ثم نظر الى ساعته وقال ان وقت الانصراف قدحان ... ثم وقف وقام مسلما شاكراً لأحمد بك داعيا لنجله بالفوز ومن ثم خرج مودعا بالتجلة والاكرام وانصرف من لدى صديقه معجبا بما سمع عن مدرسة الفنون

الفصل الثامن

(وصول الجواب)

رسول الهوى أهلا وسهلا ومرحبا
حديثك ما أحلاه عندي وأطيبا

كان الجو صاف والنسيم يهب عليلا يداعب أغصان أشجار حديقة أحمد بك عند ما كان زكى يترنم بهذا البيت الجميل وهو يقلب بين يديه خطاباً مطولا جاءه من حبيبته وهو بعيده مرة بعد أخرى ثم قام من مقعده وفتح نافذة غرفته

المطلة على الحديقة وأخذ يقرأ الجواب وهو يتمايل سروراً وقد طفح قلبه فرحا فاهتز ضاربا بين جنبيه واذا به ما يأتي

مصيف رأس البر في ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٤

روح الحبيبة ومالك الفؤاد

سلام وتفسير السلام سلامة

تحية مشتاق وتحفة (عاشق)

هنيئا لقلب يتمتع بقربك أو سحقا للدهر جرعني مر بعدك وبئس زمن فرقنا بعد الاجتماع . وتبا للايام اذا قتلنا غصاصة الفرقة والالتياع فياله من ظالم متحكم . وحاكم متبرم عاندتنا فعاله ولم تحمد لدينا خصاله . اذ قد حكم علينا بالتفريق والنوى بعد ان ارتبط قلبانا بعاملي الحب والهوى * فملأ لنا من عناده كؤوس التحسر والتفكر والجوى

وبعد فلست أدرى . ولا اخال قلبي يدرى . ودمي أصبح وبات يجرى . وغدا الهم الى فؤادي لبعدك يسرى * بأي لسان يمكنني الوصف والتعبير . ولا بأي يد أقوى بها على قبض القلم للتحبير . وحالتي ما هي الا ذكرى وتفكير ولا أعرف كيف أوما الذى يمكنني الآن اكتبه اليك وأنت

مالك الفؤاد وقد بعدت عنك وقلبي ذاب صبابة ووجداً عليك

عزيزي أسطر اليك هذا أيها المحبوب . وأنا وحيدة هناء في غرفتي الجميلة التي أسكنها وما أنيسي سوى طيفك وخيالك وما جليسي غير افتكارك وأيامك وان سألت عن حالتي التي أصبحت فيها فحدث ما شئت وشاء لك الخيال ـ ففكر وشجن ـ ووساوس ومحن . أحر ما جفني عن ملاقاة الوسن وبلوى تداهمني وأخرى تنغصني لوحدتي التي لم وان أكن متمنيتها من قبل ولن تكن لتخطر لي على بال ولكن صبراً .... فان الصبر مفتاح الفرج ودائما تجدني أيها الحبيب خيالك عن عيني لا يغيب . ودائما أصبر القلب وأعلله بقرب يوم حضورك الميمون ـ ذلك اليوم الذي تنفى به عن قلبي الاحزان والشجون ـ ويعود الى الجسم عزمه وتكتحل فيه بأثمد النوم العيون وتبرأ وقتئذ من تقرحاتها الجفون ـ وأعود الى رشدي بقربك بعد ان تولاني لبعدك الجنون فكدت والله أقضي والعق كأس المنون

فلا تبخل على بالحضور ـ لان الصدر مقصده الانشراح والقلب مطلبه السرور ولا تنكث الوعد ـ فشريف من أتم

اذا وعد ـ وقدهي صبري وقل عندي لبعدك الجلد

وأما عن صحتي فالآن لله حمداً وشكراً وفي الختام أقدم لك أجل التهاني الصادرة عن صميم قلب نقش عليه اسمك وسكن بداخله رسمك لمناسبة نجاحك في الامتحان وأقبل مني أزكى التحيات ودمت لحبيبتك الباكية في أسعد الاوقات

حاشية عنواني هكذا رهيبة

وهيبة بفندق مرأى النيل غرفة نمرة ١٧ برأس البر فلما أتم قراءته قبله وطواه ووضعه في جيبه ومن ثم ارتدى ملابسه ونزل متوجها لزيارة بعض الاقارب والاصدقاء

فسار بطول جسر الحديقة وقد اقتطف زهرة من أزهار القرنفل ووضعها الى صدره في عروة السترة (جاكتته) ثم ركب عربة فسارت تنهب به الارض نهبا ميممة به نحو عروس أفريقا (العاصمة)

وفيما هو سائر تضاربت أفكاره وتلاكمت هواجسه فأخذ يفكر في أمر السفر الى حيث تقيم مالكة لبه وساكنة حشاه

وجعل يفكر فيما اذا كان والده يوافق علي ذلك أم لا ولكن

قلبه امتلأ أملا لوثوقه من موافقة والده ورضاه

فرح لذلك جدا ولكنه ما لبث ان اكتأب ثانياً وقال ياتري هل يصحبني الى هناك . أم يتركني أسافر وحدي فهنا تركه يفكر في ذلك وما الذي يلزم فعله اذا كان هذا أم ذاك

الفصل التاسع

(بلوى واحزان)

قضى الفتى جزءا من الليل بعد زيارة أقاربه مع بعض رفاقه وعاد الى منزله وهو طافح سرورا

وصل الى المنزل ـ تدرج السلم بسرعة ـ دخل مخدعه خلع ملابس الزيارة ارتدى بثياب اخري ـ جلس الى المائدة تلقاء والده ـ تناول وأباه الطعام ـ شبع وقام ـ ثم مشي بطول الردهة وعطف على يساره وولج باب غرفة السهرة ـ وهناك جلس الى جانب والده

ولما جلس واستوى بمكانه فاتح والده برقة وأدب كما هو المألوف عنده والمشهور عنه فقال

يعلم حضرة والدي مقدار التعب والنصب الذي لحقني من استمراري على الدرس والمذاكرة آناء الليل وأطراف

النهار ومقدار ما ألم بي من انحراف صحتي من تتابع السهر الطويل في المذاكرة وأراك على بينة من أمري وحالتي الصحية فهل يسمح لي السيد الوالد ببضعة أيام أقضيها متنزها خارج العاصمة مروحا صدري من عناء ما لحقني من التعب والنصب

ـ لماذا يا بني هذا السفر وأنت مقيم الى جانبي في قصرنا هذا الخلوى الجميل الذى هو بمثابة مصيف جميل لا يؤمه سوانا ولا يأوى اليه غيرنا فهو والحالة هذه بعيد عن الزحام والضوضاء التي تعكر صفو الناس

ـ والدي ـ ان المكان الذى طال فيه زمن مكوث الانسان وبعد أمد سكناه بأرجائه فقد لا يتأتى منه أي فائدة تذكر بخلاف ما اذا كان الانسان متنقلا بين القرى والدساكر حيث يشاهد ما حلا للعين شكله من الزوايا والمناظر التي تسر الفؤاد حقيقة وتتربها النواظر

ـ يحتمل ذلك يا بني والى أي مكان عزمت بمشيئة الله تعالى على التوجه اليه

ـ هل سمح لى والدى اذن ؟ قال الفتى ذلك ثم ابتسم

واشرأب بعنقه نحو والده ـ فأجاب أحمد بك بعدان رفع يده الى فه لانه كان يتثاءب حيث قال اسمح لك اذا تراآى لى ... وهنا اكفهر وجه الفتى وتكدر ثم تمم أحمد بك الحديث فقال أو عن لى أنه... فانقشعت عن وجه الفتى بعض سحب الكدر التي تلبدت فى أسماء جبهته ثم قال أحمد بك

اسمح لك ياولدي بذلك اذا تراآى لى ان هذا السفر يوافق صحتك ـ انه سيوافق صحتى لامحالة يا سيدي قال ذلك الفتى بحالة تأكد

ثم استمر في حديثه وتمم قائلا عزمت بعد التوكل على المولى على أن أكون ميما شطر مصيف رأس البر الجميل

ـ رأس البر ؟

ـ نعم فهناك الطقس الجميل والجو الرائق الزاهر والسماء الصافية والنسيم العليل والحمامات الصحية الملحة وغير ذلك مما يندر وجوده فى مصر في أغلب أيام الصيف

ـ أعجبتني فلقد سمعت كثيرا عن هذا المصيف وكان في عزمي ان أقضي معك هناك بضعة أسابيع ولكن الاشغال تمنعني من ذلك الآن ... وعلى كل فأنا أسمح لك بثلاثين يوما

تقضيها هنا لك وربما أوافيك الى هناك فارتاح الفتى الى ذلك ولكن والده أردف كلامه بهذا الجملة بعد ان سكت مدة . . . ولكن لا يكون ذلك الا بعد أربعة أيام

- ولماذا! أهل سيدى يحتاجني حتي يؤخرني أربعة أيام .

- نعم فانا المحتاج اليك لتبقى هنا ريثما أعود من شبين الكوم لان عندى أشغال تلزمنى بالسفر لهنالك باكرا في قطار الصباح

- شكرا لك سيد الوالد قال ذلك الفتي وصبر رغم انفه ومن ثم قام كل منهما الى مخدعه

. . . .

أصبح الصباح فرفعت غزالة النهار برقع الظلام عن نور ذلك اليوم وكان الهواء بارداً والجو مشحون بأتربة وضباب كثيف يحجب معظم نور عروس السماء ويحول دون وصوله الى الارض

ففي ذلك الصباح وفي نفس ذلك الوقت بعينه سار أحمد بك بابنه يركبان عربه وكانا يرتديان بأردية ثخينة تقيهما فرط قر هذا اليوم

فسارت بهما العربة تطوى صدور الارض على الاعجاز ولم تقف الا امام المحطة ومن هناك ركب أحمد بك قطار الساعه ٢٠ و ٨ صباحاً الى حيث يقصد

أما الفتى فقد آب بعدئذ وجلس الى مقعد في بورصة امام حديقة الازبكية الا وهي Grand Café, de la Bourse أو بالعربية قهوة البورصة الكبري وهناك أخذ يكتب جوابا الى حبيبته وهيبه

وبعد ان وضعه في صندوق الخطابات رجع الى لوكاندة يتناول فيها طعام الغذاء فدخل الى محل كتب على لوحة بأعلاه باللغة الانكليزية Famous Anglo American Restaurant أو بالعربية ما معناه المطعم الانكليزى الامريكاني الشهير

وبعد ان تناول طعامه هب حالا ونقد الخادم ثمن ما أكله وسار الى الموسكي ليشتري بعض لوازم للسفر وهدايا لمحبوبته

وما كادت شمس النهار تنحرف نحو الغروب الا وكان الفتى يركب عربة أوصلته الي القصر وهناك خلع ملابسه وانطرح

الى مقعد طويل وأخذ يفكر في حبيبته شأن كل مهجور ولهان

وما هى الا ساعة ومضت فى تفكر وتذكار ووسوسة واقتكار الا واضطرب جرس التليفون فانتفض فى مكانه وخفق قلبه فهب مسرعا وتكلم مع المخاطب واذا به خادم عندهم وكان يسمى مبروك

ـ فقال من أنت

ـ مبروك الخادم ياسيدى . أجاب الخادم بصوت يرتعش جداً ومتقطع

ـ وماذا تريد أسرع في الجواب . سأل ذلك وهو في رعب شديد

فأنبأه الخادم بخبر نقض على قلبه انقضاض الصواعق فسلبه لبه وخارت لسماعه عزيمته فصرخ الفتى متأوها ووقع الى الارض مغشيا عليه لا حراك به وأتى خدم القصر وهم فزعون مرعوبون وأفاقوه من أغمائه فأفاق وهو يبكى وقد خنقته العبرات ـ فصرخ متأوها والدموع تسيل بغزارة أواه أواه واحر قلباه عليك يأبى ثم وقع الى الارض ثانية لا حراك به

فتراكض الخدم وولولوا باكين وبذلوا غاية الجهد فى

افاقته حتى أفاقوه فسألوه وهم مدهوشون وقد امتلأت قلوبهم فزعا ورعبا

فأجابهم بصوت مضطرب وكلام منقطع ـ آها ـ آها ـ فقد أصيب ... والدي بميا... ر.... نا ... رى ـ أل... قاه الى الارض ـ صريعا ومن ثم أخذ يولول ويبكي ويندب أباه وسوء حظه

فذعر الخدم من ذلك الخبر المؤلم فلا انقضاض الصواعق بأشد من هذا الخبر على أفئدتهم فبكوا بكاء مرا وانتحبوا حتي تقرحت منهم الجفون

. . . .

كيف يفعلون والوقت ليل ولا قطارات تقوم في هذا الليل الى شبين الكوم فساءت الحالة بهم وادلهم الخطب وعظم المصاب

قضوا ليلتهم في بكاء ونحيب تارة وفي مؤاساة الفتى أخرى حتى انبلج فجر اليوم الثاني فهبوا كلهم الى العربات . وسارت بهم الى المحطة

فهناك جلسوا ينتظرون أول قطار يبرح مصر الى تلك الناحية وهم كأنهم يتقلبون علي أحر من نار الجمر

ظلوا منتظرين والوقت طالت ثوانيه ودقائقه فكأن الثانية تمر كايام والدقيقة كأعوام حتى دنا الوقت فركبوا القطار فسار ينهب بهم الارض نهبا الى حيث يقصدون

﴿ أصل الحادث ﴾

وصل أحمد بك الى شبين الكوم وهناك قضى بعض أشغال حتي أذنت شمس النهار للمغيب فمن هنالك ركب جواداً كريما وركض به يتبعه الخادم مبروك وهو يحمل عصاه الطويل وكانا يقصدان العزبة التي كانت تبعد نحوا من الساعتين عن المحطة

فبينما هما سائران وقد أخذا باطراف الحديث وقد أظلم الجو وهبت الرياح الشمالية الباردة والسكون شامل والطبيعة ساكنة لا يشوب صفو سكوتها الا هزيم الرياح وحفيف أوراق الاشجار المغروسة على الجانبين بين المزارع والحقول التي كانا يمران بينها وما يشعران الا وقد لاح لهما شبح اسود يحجبه عنهما الظلام الدامس وصار يقرب منهما ولما صار على مقربة منهما فزع منه الجواد وجمع براكبه فاراد مبروك امساكه فما يدرى الا وقد سمع صوت ثلاث طلقات متتالية خرجت

من فوهة غدارة دوت فى سكون هذا الخلاء وفضائه وتبعها صرخات متقطعه أردفها سقوط جثتين الي الارض وسمع أخيراً أنين توجع وتألم

فهلع لذلك قلب مبروك وفزع جداً حتى جمد فى مكانه كالجماد وبعدئذ تجلد وانحني كي يحمل سيده الذى كان يسبح في بحر من الدماء المتفجره من فخذه وساعده الايمن ومايدري الا وقد قبض عليه بأيد هي الحديد أو أقوي اذا قد قبض عليه اثنان من أشقياء الريف وجندلاه الى الارض قوة وتمكنا منه عنوة فلم يستطع مقاومتها

ومن ثم قرب اثنان آخران من الجثة وقلباها وقد كانا مختبئين في مزرعة اذره نامية هنالك ففتشا جيوب القتيل وأخذا كل ماوصلت اليه أيديهما الاثيمة وفرا بالغنيمة ودخلا الى المزرعة

ثم انطلق الاثنان اللذان يقبضان على الخادم واندفعا الى داخل المزرعه أيضاً بعد ان شداه وثاقا

ذهب الاربعة واختفوا عن عين مبروك فأخذ يرفس برجليه ويتقوى ويتشدد

حتى حل وثاقه فقام وهو يرغى ويزبد ويشير بكلتا يديه ويتهدد

وأخيراً حمل سيده وسار به الى المزرعة وترك الجواد لانه كان جثة هامدة فهناك استدعى وكيل المزرعة طبيب المركز تلفونيا وأرسل بأخبار العمدة وعندئذ كلم مبروك سيده زكى بالتيلفون وحدث ماقدمناه

وصل القطار وترجل الفتى وخدمه ومن هناك علوا صهوات الجياد فالهبوها بالسياط حتى أوصلتهم الى المزرعة والشمس قد توسطت في كبد السماء وكان يومئذ قيظ شديد بضد ما كان بالأمس

وهناك فى منزل وكيل المزرعة اجتمع الفتى بوالده الذى كان يئن متوجعاً ومتؤلماً من شدة وطأة الحمي التى اصابته من الجراح الثخينة وهو منطرح الى سرير هنالك وكان بحضرته آنئذ الوكيل والخادم مبروك اللذان كانا يزرفان دموعهما بغزارة ويبكيان بحرارة والطبيب الذى كان باذلا جهده فى ايقاف النزيف وتلطيف الحمي عن الجريح

وبعد حديث واستفهام دار بين الفتي والوكيل ومبروك

خرج الطبيب ولما صار على مقربة منهم قال

يلاحظ لى ياسادتى ان الجراح غير خطرة ... وانما النزيف الدموى هو الذي انهك قواه ولكن الأمل شديد جداً بشفائه عن قريب

ـ فانشرح لذلك صدر الفتى جداً واطمأن باله

ـ فاستمر الطبيب فى حديثه وقال

ـ هذا سادتي ان لم تشتمل عليه وطأة الحمى ... قال ذلك وانصرف بعد ان أوصاهم فى ملاحظة المريض والعناية به والسرعة في استدعائه اذا أدت الحالة الى ذلك

وبعد مدة قام كل الى مخدعه بعد تناول طعام العشاء على مائدة أمين أفندى وكيل الزراعة

اما الفتى فدخل غرفة أبيه أولا وجس نبضه فالقاه ضعيفاً جداً وسمعه يهذى بكلام غير مفهوم وكان القلب يخفق بشدة

وبعد ئذ خرج أمين أفندى فوجد الفتى عند والده يخشي على الفتى إذ ربما يعود اليه التشنج لانه كان عصبي المزاج فقال له ـ أظن ياسيدي ان البك لمرتاح الآن ... وقد صار الوقت ليلا فالأجدر بك ان ترقد لتستريح

ـ شكراً لك يا أمين أفندي ولكن ها أنذا أرى ان حركة النبض ضعيفة بطيئة ولكن القلب يخفق بشدة وأخشى أن يداهمنا الأمر المكدر بالبلاء والخطب العظيم

ـ دع عنك هذا الفكر ياسيدي . ونم هادئ البال فأن سيدي البك الآن أحسن بكثير جداً من أمس

ـ وهل لم يسأل على عند حضوره الى هنا

ـ سأل يا سيدي ولما أخبرناه بأنك لم تزل بمصر أمرنا بأخبارك تلفونيا وقدتم ذلك بكل سرعة

ـ شكراً لك يا عزيزي . وما الذي أتمه العمدة في التحقيق . وهل لم يخابر المديريه . قد أخبرته أمس بهذا الحادث فأتى ومن ثم تبعه حضرة مأمور المركز وحكمدار المديرية الذين أخذوا بالبحث والتنقيب الشديد على هؤلاء الأئمة الاشرار الذين لا يهابون سطوة الحكومة وكم هزأوا غير مرة وسخروا بالقانون والعقاب الصارم فباتت لهم جرأة شديدة على فعل كل منكر واتيان كل شر فهم يعيثون فسادا فى طول البلاد وعرضها ويلقون الرعب في أفئدة الأهلين وهم غيرهيابين

ـ غير هيابين... قال الفتى ذلك وقد هز رأسه باستهزاء وسخرية ولكن تأكد يا حضرة الوكيل بأنني لا آلوا جهداً ولا أنفك عن البحث حتى اعثر عليهم ولو في بعيد الانحاء أو في كبد السماء ...نعم...نعم...فسأريهم كيف يكون الطعن والضرب

(١)سيلقون من عزمي وجد عزيمتي ما يركعون لهم سجودا كلهم
فأجوب في طول البلاد وعرضها أنقب عنهم في مكامن أمنهم
وأقبض بالزند القوى أريهموا بماذا يجازون وأني منتقم
ولست بابنك احمد بن محمد ان لم اعاملهم بمثل فعالهم

ـ بالله خفف يا سيدي فقد لا يعود عليك الا الحزن من وراء ذلك والتعب وان كان الشرير يحسب انه سيختفي فهذا قد لا يكون مطلقاً لانه مهما تبطن تظهره الايام وما يغمض علينا فهمه تفسره الاحلام

ـ يالله ـ ويا للعجب . ويالشدة دهشتي أيجازى هذا الكريم بتلك الفعلة الشنعاء أقتل الشعور في صدور الشعب أين الرأفة والشفقة أين الخوف والرهبة من يوم الدين ـ أين ...آه يا والدي...وأخذ يبكي بكاء الخنساء على أخيها صخر

(١) للمؤلف

ثم قال وهو يمشي جيئة وذهابا مطأطئ الرأس تعيسة أنت أيتها الحياة وشقية أنت أيتها الدار ـ دار المصائب والاكدار دار المحن والأوزار ـ دار الازدراء والاحتقار

فكم خنت بنيك وخدعتهم ـ وكم عاملت محبيك بما يكرهون فما أنت الا سفينة الشقاء ـ والبلاء والأرزاء وفلك يسير في بحر عجاج أمواجه الاحزان ورشاشة الاشجان وشاطئه قرحة الاجفان وأرضه الدرج في الاكفان وبكاء وعويل هنالك وصرير الاسنان

(١) دهتني يادهر نوح الحمائم * وما أنت يادهر النحوس قصير
تطول على وتبتليني بالشقا * وأنا امام [illegible] منك حقير
وترد عيني ان أرادت غفوة * كي [illegible] والتفكير

فبكي الوكيل لحالة الفتي لأنه [illegible]
سقط الى مقعده أصفر اللون واهى القوى

وبعد طويل مشاحنة ورجاء كبير بين الو[illegible]
قام الفتي الى مخدعه وقد كل الوكيل من اللجاجة والالحاح عليه كي ينام ليستريح

---

(١) للمؤلف

جلس الفتى الى سريره وأسلم نفسه الى الوساوس والافكار وأخذ يفرك يديه ويتكلم بصوت خافت وبنفس كئيبة حزينة فيقول

علّلت نفسي بقرب لقاء الحبيبة بعد هذا الفراق وسررت وانشرح صدري لذلك ولكن آه . . آه . . ماهي الا سحابة صيف وقد انقشعت حتى تبدل السرور بالاكدار والافراح بالاتراح

ثم فقد عللت نفسي بقرب اللقاء ودنو وقت الاجتماع وقلت قد طاب الزمان ولكن صدق من قال

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
فرب ليل قد طابت أوائله * ورب آخر ليل أجج النار

ومن ثم نام حتى أصبح الصباح فقام ووجد والده في حالة خطرة وعندئذ صمم على عدم السفر ولما لم يجد بدا من ملازمة المريض كتب الى وهيبة كتابا أخبرها فيه بأن المقادير جرت على عكس ما كان ينتظر ولكنه كتم عنها خبر هذه الحادثة

الفصل العاشر

(الحديث ذو شجون)

في صباح يوم جميل الطقس عليل النسيم وقد بزغت

الغزالة من وراء خدرها وكان الجالس تحت مظلة صالة الفندق أو باحدى نوافذه يرى فتاة قد ارتدت بلباس بسيط وهي حافية القدمين صغيرتهما ذات قد رشيق وقامة هيفاء وعود كغصن البان

بصدر مشرق النحر * كأن نديه حقان

ووجه يزري بنور البدر وقت تمامه توسطه أنف يوناني أحد من السيف وتحته ثغر بسام يفتر عن لؤلؤ منظوم ولها عينان سودا وان جفنا بتان

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وجبهة هي القمر وشعر اسود من غلب الزمان وقد أرخته ضفائرا على كتفيها وهو مندى بالماء وكانت آتئذ راجعة الى الفندق من الحمام وقد وضعت منشفة على رأسها اتقاء لحرارة الشمس

ففي نفس هذا الوقت وفي هذا الفندق كان شابان جالسين الى نافذة غرفتهما وهما يشخصان بأبصارهما الى تلك الفتاة التي أعجبا بجمالها الفتان وتناسب أعضائها وخفة حركاتها وطلاقة وجهها وحلاكة شعرها

وبالجملة فقد جعلتهما يسكران بغير خمر

فقال أحدهما وقد هز رأسه وابتسم ـ ما أحسن صنع الله وكمال خلقه ما أجملك من فتاة ... ولكن آه لو كنت حراً في أمري ... فوالله لكنت أتزوج بها فهذه هي حقيقة أخت السعادة والهناء فأنها

[1] وردية الخدين شعرها اسود * فتانة الاحداق تسبي وتجذب

فقال الثاني ـ والله يا عزيزي حقيقة ـ فلولا سفري هذا العام الى أوروبا لتميم الدراسة وكنت حراً أيضا لفضلت البقاء ههنا والزواج بتلك الغادة الجميلة فهي ولا شك أنها ملك سماوي طاهر فهي أيضا والحق يقال

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد ... لما أحس لها من وطئها أذا

ـ قد صار لي هنا عشرة أيام وفي كل يوم أرى فتيات من الجمال والكمال بكافة أوصافه يجل معانيه ولكن والحق يقال لم تر عيني أجمل من تلك الفتاة التي هي زهرة الفتيات البائمة ـ ووردتهن الكمة ويحق لها بأن تلقب بملكة الجمال أو (بغادة نصيف) فهو أليق بها

ـ (جبت الغاية) فغادة المصيف هو الوصف الحق

(١) للمؤلف

بالجمام وقهقه ضاحكا وبعدئذ قال دعنا دعنا من هذا الكلام الذى لا يورثنا الا الفكر والاشجان فنحن في مكان لا يطلب منا فيه الا أمتاع الطرف واشراح الصدر

أعنى نأكل ونشرب ـ ونلهو ونطرب ـ وأخيراً ننام بعد النزهة فهذه هي الصحة وانه لحلم وقد صحت لنا الاحلام اذ أسير الفلاة فى طول الفكرة وعرضها مكشوف الرأس عاري الاقدام لا أستر رأسى الا بقبعة من القش..هأ ها ها وقهقه بصوت عال فتبسم صديقه خفيفا وقال

ـ ما هذه الفلسفة الرأسبريه) يا أخي هل لا تكتسب الصحة الا هكذا

ـ (أمال ...!)ماذا تريد منى اذن ...؟ أتريد ان اتأنق فى ملبسى كما لو كنت فى مصر

ـ نعم يلزمك ذلك

ـ يظهر انك لم تأت الا هذه المدة فقط ولذا فانى أراك لا تنفك عن التأنق فى ملبسك وشد الحذاء الى قدميك بطول النهار (كأننا يابدر لا رحنا ولا جينا)

ياعزيزى اترك هذه العوائد وألبس لكل مكان لبوسه

فهذا المصيف الجميل الذى هو عندي اعظم من مصايف أوروبا في نقاوة هوائه واعتلال نسيمه وصفاء جوه وزهاء سمائه ومائه العذب الزلال لا ينفع فيه التأنق في الملبس مطلقا وهنا تجد الحرية معطاة لكل المصيفين على حد سواء أغنياء وفقراء ولكن بالحشمه والادب

ـ ان ذلك لحسن جدا يسرني

ـ اما ترى ياعزيزى أولئك السائرين والسائرات ـ فها هم كلهم حفايا لا يرتدون الا بملابس منزليه بسيطه

انظر تجدهم قد زينوا رؤوسهم بتلك القبعات القشيه كان الكل هنا أصبح خواجات وموسيوات ومسترات

وهذا هو الدليل على أن الحرية التامة هنا مطلقة للجميع

ـ حقيقة انهم فى حالة بدوية جميلة جداً ـ فان شاء الله صباحا سأكون مثلكم وعندئذ ضحك الاثنان وتمايلا على بعضهما من فرط الضحك والى هنا انقطع الحديث وقاما الى تناول طعام الفطور على مائدة الفندق العمومية في صالونه فكان السائر يرى جمهوراً من الشبان وقد جلسوا حول المائدة يأكلون هذا يضحك وهذا يزغزد وذاك يصفر وذلك يصفق

وهذا ينكت نكاتا أدبية والكل في سرور وهناء

وبعد ان تناولا طعام الفطور وقاما الي بائع الملبوسات فاشترى صاحبنا المتأنق ما يلزمه وارتدى به فكان يجد نفسه مرتاحة عن ذى قبل جداً وكان كلما سار وأينما حل يرى هذا بلبس العرب وذلك كالصينيين وذلك متفرنجا وأولاء بدويين فردد في نفسه قول الشاعر البدوى

حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وللبداوة حسن غير مجلوب

ومن ثم قضى أغلب أوقات النهار متنقلا بصاحبه بين النوادى والزوارق ولما أذنت شمس النهار بالمغيب وقد ودعت جماعات المصيفين والمتنزهين في هاتيك النواحي واختفيت وراء حجابها فودعتها السماء بوجه يكسوه حمرة الشفق سار بصاحبه الى ملتقي البحرين ومجتمع المائين (بين الموجتين)

فهناك وقفا بين الجموع المحتشدة في ذلك المكان وأخذا يسرحان بأنظارهما يمنة ويسرة فلا يجدان الا متنزهين ومتنزهات وكلهم مسرورين يمرحون في فضاء هذه الناحية كأنهم اسراب غزلان خرجت لارتياد مراعيها الناضرة . فسر من هذا المنظر الجميل الذى زاده جمالا على جماله اعتلال النسيم

وانحدار الامواج وخرير المياه ومهاجمتها للشواطئ الرملية المنبطحة أمامها وارتدادها بقوة الجاذب الطبيعي مشتتة متكسرة منفرطة عقودها منتثر حبابها كالدرر واللؤلؤ والجواهر الثمينة الغوالي ولما طال بهما زمن الوقوف هنالك عادا الى الفندق وكانت عروس الليل اسدلت ضفائر شعرها الحالك السواد فحجبت وجهها وأخذت كواكب الافق تتألق في القبة الزرقاء

فهنالك تناولا طعام العشاء وبعد ئذ جلسا الى شاطئ النهر امام الفندق وأخذ يتجاذبان أطراف الحديث وقد أشعلا سيكارين من سيكارات الهند فقال صاحبنا الاول الذي حكم على صاحبه بارتداء ملابس البداوة

يا ما أحلى واهنأ أياما وأوقاتا نقضي في هذا المصيف فهي والحق يقال تعادل سنين الحياة كلها

ـ حقيقة ـ حقيقة فانا لم أكن أظن بأن الحالة ستكون هنا كذلك فالحرية مطلقة والهناء مستمر والنسيم عليل والهواء جاف والنظام كامل والأمن شامل فلا نقد ولا انتقاد ولا مشاحنات ولا تأنق ولا فساد فالادب يشمل الجموع والصحة والهناء يجلان الربوع والمسرات والسعادة يرفرفان

فوق النجوع

فسماء زهية زاهرة وجو صافي الأديم وكوا كب متألقة وسيارات حائرة وبدر منير وماء نمير قال ذلك وهو يهتز في مقعده وقد وضع قدميه في الماء

ـ انظر ـ انظر ياعزيزى ماأحسن الماء تحت ضوء القمر المضيء بنوره الأرجاء واصغ الى نقيق الضفادع في بركها على الشاطئ الايمن وتأمل في هدوء الطبيعة وسكونها وانظر الى تلك النواحي والربوع والى تلك المنارة الجميلة التي تبهر بضوئها العيون . فوالله ان القلب لينشرح لهـذه المنظر وينسر بذلك الفؤاد والخاطر ويحلو سرد الحديث والنطق بالهزليات الأدبية والمجون كيف لاوالحديث شجون

ـ ومما زاد أعجابى بهذا المكان حينما كنت أسير متنقلا نهاراً رؤيتي اكمات منخفضـة من الرمال ـ ورمال تكونت كالتلال وهي بلونها الذهبي الجميـل ووضعها المدهش الذى ليس له من مثيل

ولقـد شـاهدت أيضاً سفنا شراعية قد نشرت قلوعها البيضاء فى الجو تتلق بها تيارات الهواء وهى تسير كالعرائس

التي تتبختر في وقت جلوتها وكالغيد الحسان عند خطرتها في بأشكالها المتعددة ومناظرها الغريبة المتنوعة لآيات حسن واعجاب أري هذه مشحونة فحما وهذى قمحا وتلك أخشابا وتلكم أثماراً وأعنابا وعطورات وأطياباً وعطارات وغير ذلك مما جعلني مسرور الفؤاد عديم السهاد طويل الرقاد وهني النوم جذلانا

وهذا مما يدل على أن تجارة مدينة دمياط رائجة واسعة الدوائر

ـ حقيقة وهنا أنه لمكان يجد فيه الانسان راحة تامة من عناء الاشغال وهدوء فكر وصفاء بال

فكم زرته قبلا ووجدت فيه ضالتي المنشودة

ـ وما هي يا ترى ... أفتاة من فتيات اليوم ـ قال ذلك وتبسم وصفق بيديه ـ فقال لا وأنما قد كنت مصابا بروماتيزم مفصلي أليم جداً حرت في مداواته وحار الاطباء ولم تنجع فيه وصفة حبيب ولا صديق أو طبيب

وكم أشير على مراراً بالذهاب الى فرانسا للاستحمام بمياهها المعدنية فذهبت مرتين الى هناك ولم اكتسب شيئاً سوى انى صرفت مالا طائلا على غير نفع أو فائدة ولما وجدت

أن الالام تنغصني وتكرهني فى الحياة عمدت الى سؤال المعارف فأشارت على عجوز من الجيران نالت الشفاء التام بواسطة حمامات الرمل الحاره فما كدات اسمع ذلك وكان عهدي بتلك المرأة تتألم ورأيتها مسروره من حالتها سألتها وأين أيتها السيده هذه الحمامات

ـ فى رأس البر بنواحي ثغر دمياط يابني

ـ وكيف استعملت هذه الحمامات ؟

ـ اني كنت أحضر لى مكانا بين الرمال الصافية السخينة أغمر فيه جسمي المتؤلم وأظل فى هذا القبر الحيوى زهاء الساعتين كل يوم

ـ حسناوكم يوم استعملت هذه الحمامات سيدتى ؟

ـ ظللت على ذلك مدة أسبوعين تقريبا فزال كل ما كنت أشعر به من قبل

ـ شكراً لك ياسيدتى

فقال الشاب صديقه أحقيق هذا الكلام ؟ أنى والله لدهوش حقا .: اهذه الاكمات الرملية هي أيضاً حمامات نافعة ؟ ثم ضحك وقال والله أنه لشئ عجاب وما الذى صنعته

أنت أخيراً

أخيراً حضرت الى هنا واستعملت هذه الحمامات كما أشارت على هذه العجوز فأتت بفائدة اذ كرها مادمت حياً وفي أثنائها قضيت هنا زهاء الشهرين فلم أصرف عشر ماصرفته في (فيشي) وحماماتها ولا في (اكس) ومستشفياتها

ـ انني لاعجب غاية العجب والامر كذلك كيف يذهب كبار أغنياؤنا سنويا لزيارة أوروبا بقصد تبديل الهواء هنالك وفي قطرنا وتحت سماء بلادنا مثل هذا المصيف الجميل

ولكن لم تكد تسأل هذا الى أين هذه السنه الا ويقول لك بكبرياء وأبهه وعظمة ـ أنى سأمضي مدة الصيف في (مونت بليير) بفرانسا والآخر في (فيشى) وهذا (في مرسيليا) وذاك (بمونت كارلوا) وأولائك (بنابولى) وغير ذلك من الاماكن التي يشترون فيها الاصفر الوهاج قناطيرا مقنطره فضلا عن كون هذه المصايف قد لايجد فيها الانسان مايجده هنا من الحرية المطلقة وخصوصا الارتداء بكل مايأتى على ذوق البداوة والتمتع بكل أهواء النفس الأدبية

ـ حقيقة أن معظمهم يجهل أمر مصايف بلادنا الجميلة

التي ربما فاقت مصايف أوروبا بنقاوة هوائها واعتلال نسيمها ولطيف طقسها وبديع منظرها ان لم تفقها

ولكنك تجدان أكثر من يفدون الى هاتيك النواحي بأوروبا لاهم لهم الا اما بقصد الفخفخة الباطلة والظهور الكاذب واما لقصد اسمى فأولئك أصحاب النفخة الباطلة والفخفخة والابهة الكاذبة لاهم لهم هنالك الا معاقرة ابنة الدنان ومغازلة الغيد الحسان واتيان كل منكر تحرمه الشرائع والاديان وتتبرأ منه الآداب والانسانية (تبرؤ الذئب من دم ابن يعقوب)

فيعودون وقد خوت جيوبهم مما كانوا له يكنزون ويؤوبون وقد جلبوا لأنفسهم كل مكروه ممقوت وهم في الحقيقة ونفس الامر لا يبغون فائدة ترجى من وراء ذلك الا نشر أسماء (حضراتهم) في الجرائد

ـ نعم ـ نعم فهذه حقيقة لا تنكر ولا يمكننا أن ننكر أيضاً أن كثيراً لا يذهبون الا لقضاء أشغال ومزاولة أعمال تعود عليهم بالارباح والمكاسب وكثيراً انما يسافرون بقصد نفع البلاد وخدمة الوطن

ـ خـدمة الوطن ؟ قال ذلك وقهقه عاليا ثم قال وهو يشـير لصاحبه بكلية يده ويتكلم بتأن أى منفعة يجلبونها للوطن ؟... اذهابهـم وايابهم (بالسـلامة) وبذلهم أموالهم هناك كل ذلك تمده منفعة للوطن؟ أليس الوطن هوالارض التى تحويهم وتحملهم فوقها فعاشوا عليهـا يزرعون ويقلعون وترбوا فى خيراتها ونعيمها أليس كان الوطن هذا أولى بالاحسان (ولو) على الاقل

ثم أنه يذهب سـنويا أناس عظماء وكبراء سـياسيون وفريق من الشبان لتلقى العلوم فهم هم حقيقة الذين ينفعون الوطن وليس ماسواهم وهم النوادر من أولئك الا كثرين والنادر لا يحكم به ولا يتخذ قاعدة أو أنموذجا ... لا ... لا ..

ـ آه ـ يا عزيزى دعنى ـ دعنى ـ فبالحقيقـة اذا كانوا ينفعون الوطن كما يدعون لتكاتفوا وتجمعوا وشيدوا لابناء جلدتهم جامعة تضم بين جدرانها شبان البلاد وبذلك يحفظ مال البلاد فى البـلاد ولو أنه سيكون معظمه ماهيات للمعلمين من الاجانب ولـكنه سيصرف حتما فى البلاد

ـ اتركنى ـ اتركنى من هذا فانهم لا هم لهم هؤلاء

الاغنياء الا اكتناز الدرهم والدينار كالقول العامى (تحت عتبة الدار) الا قليلا منهم وأولاء من يشعرون حقيقة بالواجب المطلوب من كل فرد نحو البلاد

ـ آه قال ذلك وتنهد ومن ثم قال أظن أن الهواء أخذ يهب ببرودة من الغرب وقد ترطب الطقس قليلا وقد سرقنا الحديث فهيا بنا لننام فما النوم الا راحة الابدان

الحادى عشر

الجزاء العادل ــ وهيبة فى الانتظار

أصيب أحمد بك برصاصتين فخر صريعا ونقل الى بيت وكيل المزرعة فى العزبه وعملت له الاحتياطات اللازمة والوقايات التي تلزم في مثل هذه الأحوال ومن عهدها أخذ العمدة والفتى يتجولان بالخفراء ورجال البوليس العزب والكفور ويستقطان الاخبار يلتقطان كل شاردة وواردة من الاخبار ولما كان لابد من ظهور الائمه الاشرار وأنه مهما تبطن تظهره الايام وان الجزاء الحق من جنس العمل فقد علما بمقر هؤلاء الاشقياء القتله ولما وثقا من ذلك أخذا يبذلون قصاري الجهد فى القاء القبض عليهم فأخذا يحتاطان للأمر

حيطة الحكماء فسارا في طليعة الخفراء والفلاحين ورجال البوليس والكل مدجج بالسلاح والنبابيت والهراوات وقد علوا جميعا صهوات الجياد

وسار هذا الجمع يقصدون مكمن الاشقياء وكان في مزرعة تبعد عن العزبة ببضع ساعات فوصلوها وكان الوقت بين العصر والغروب فاصطفوا هناك على هيئة عسكرية وجاسوا خلال هذه المزروعات وتفرقوا هنا وهناك يبحثون عن طريدتهم حتى اذا عثروا عليها هنالك داخل مزرعة الاذره وهموا بالقاء القبض عليهم جماعة دارت بينهم موقعة هائله تشيب لهولها الولدان من قبل المشيب شأن كل شقى عنيد وبعد تبادل عدة طلقات بين الفريقين دوت في فضاء ذلك المكان هجم العسكر بالخفراء على أولئك القوم فقبضوا عليهم بعد أن كلت سواعدهم وخارت عزائمهم وقد أسفرت المعركة عن قتل زعيم الاشقياء (جابر بن علي السوداني) وقد جرح بعض الخفراء

فمن هناك وفي ذلك الوقت سيقوا مجرمين الى المركز وهم مكبلون بالحديد يرسفون بالاغلال

فعمل لهم هنالك المحضر اللازم ضدهم * وأخيراً بعد أن

أودعوا السجن تحفظا حكمت عليهم محكمة الجنح والجنايات حكما انقض على أفئدتهم انقضاض الصواعق فلبثوا فى ظلمات السجون سنينا ذاقوا فيهـا مرّ ما فعلت أيديهم . (وان الله لا ينصر الظالمين)

....

(١) ماكنت أحسب أن الحب يضنينى
ولا الغرام بنار البعد يكويني
(زكى) رفقاً فانى قدوهى جلدي
والدمع فاض على الخدين يرويني
أبيت فى قلق من بعدنا وأنا
أرى الحب ينشرنى والوجد يطويني

رددت وهيبة هذه الابيات وقد مضى عليها نحواً من أربعة أيام تنتظر رد جوابها ولكن فقد خانها الصبر والجلد وقد طال عليها بالانتظار الأمد فبكت وأنت وتوجعت فتنهدت من أعماق قلبها تنهدات تهز الراسيات من الجبال فتزحزح من أماكنها وتسعر نيران الوجد فى مكامنها

(١) للمؤلف

ثم قامت من مقعدها وأخذت تمشي جيئة وذهابا وهي أمطأطئة الرأي قليلا الى صدرها وقد وضعت يدها اليمنى تحت أبطها الايسر واسندت بها ذراعها الذي كانت تسند به خدها

ظلت على هذه الحالة مدة ثم وقفت وأخذت تنبش أرض الغرفة باصبع قدمها ومكثت هكذا مدة وجيزة وهي تتأمل وتتفكر وتنهد وقد دمعت عيناها وجرى الدم في وجهها فصبغ وجنتيها أشبه بمن قال

(١) انى رأيت الورد مطبوعا على خديها كالتفاح لونها أحمر

وفيما هي غريقة في بحر تتلاطم أمواجه بالافكار وتجاذبها تيارات قوية من الهواجس اذ فتح باب الغرفة عليها فجأة ودخل وهي في هذا الموقف المؤثر شفيق نجل عبد الله بك وبيده جواب باسمها

فلما رآها على تلك الحالة بهت وجمد في مكانه ومن ثم تقدم نحوها بقدم مرتعشه وابتدأ يتكلم خياها أولا ... فلم تجبه كثرت ظنونه وازداد خفقان قلبه وجمد الدم في عروقه ... وبعد ئذ تقوى ولمس زراعها فالتفتت اليه ... دهشت

(١) للمؤلف

لوجوده معها على انفراد ـ برقت عيناها وعادت لها قوة النشاط والحركة بعد الجمود

فكلمته بحدة وقالت . . ما الذى دعاك للدخول وأنا . . . .

قاطعها بجأش ثابت وقال . . سيدتى اعذريني فما تجرأت ودخلت اليك الا لهذا السبب . . . وقدم لها الجواب ويده ترتعش . . . مدت يدها . وتناولت منه الجواب بتؤده وجاوبته شكراً لك على ذلك وأرجوك أن تتركني الان وحدى ولا تثقل على بوجودك معى على انفراد

فجرى دم الخجل فى عروق الشاب عند استماع هـذا الكلام المؤلم فـلا انقضاض الصواعق ولا قصف الرعود ولا هزيم الرياح بأكثر تأثير على قلبه ومسامعه من وقع هـذا الكلام فى أذنيه

فقال يعز على ياسيدتى ان أتركك وأنت على هذا الحال

ـ مالك ومالى . . . تفضل وأخرج فلست مريضه وليس بي شئ ما

ـ آه ما أشد قساوتك ـ وما أحجر قلبك . وما . . . . .

ـ كفى ـ كفى ـ اذ أنا لست ممن يرقون لهذا الكلام

أو يخدعن بزخرفة القول ولتعلم بأن اذنى لمسدودة دون استماع كلامك الذى هو أشبه بأقوال السحرة فتفضل واخرج غير محترم

ـ أتكون الاهانه الى هذا الحد وانا أشفق عليك .... بالك من جاحده المعروف نا كرة للجميل .. ولو كنت ...

فقاطعته وقالت لاتزد وعافاك الله وحباك بكل جميل ... ماهو هذا الجميل : أفهل رجوتك بأحضار هذا الجواب ؟ اأخبرتك بأن تزورني وانا وحيده هنا ولكن خيب الله منك الظنون فما أنت الا شيطان رجيم

قالت ذلك بصوت يتهدج بالغضب مشفوعا بالازدراء ودفعته الى خارج الغرفه وأوصدت بابها عليها

فعض على نواجذه حنقا وغضبا . وسار وهو يعض بنان الندم والاسف ولكنه أقسم بأن سيعمل جهده لاغاظتها ماأمكن

ومن ثم تدرج السلم ومشى الى حيث والده وعلى بك يجلسان

ـ تأملت وهيبة في أحوال هذا المغرور ونظرت الى

خلال أطواره فقالت ألى هذا الحد يتجرأ هذا المعتوه ومن ثم وقفت وأخذت بعدالحزن تضحك من تلك الحالة وبعدئذ قالت قسماً بمن بسط الارض ورفع السماء بلا عمد لأريه كيف تكون الاهانة وكيف يكون التهديد والوعيد

ثم جلست الى مقعدها وهي خافقه القلب مرتعده الفرائص وفضت غلاف الجواب وأخذت تقرأه واذ به ما يأتى

مصر بعزبة الزيتون فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٥

حبيبتي وهيبة

(١) عليك سلام يا (وهيبة) كلما صدحت قمار فى الرياض على الشجر
سلام حبيب قد تعذب قلبه وبكت عيونه بالمدامع كالمطر

وبعد يعلم الله وتعلمين ياحبيبتى مقدار حبي لك وشغفى بقربك واما قبل أن أتكلم أطلب منك المغفره أن لم أجد سبيلا لنوال المعذره

عزيزتي أوعدتك والوعد حق على ان أزورك بمصيف رأس البر الجميل حيث أتمتع بلقائك هناك حيث نقضي أويقاتنا بسرد لذيذ الحديث والسمر خصوصا فى هذه الليالى

(١) للمؤلف

حيث يتجلى بنوره القمر ولكن آه ... فالضرورة لها أحكام وقد تأتى الرياح بمالا تشته السفن فقد الزمت وجبرت على البقاء هنا الى جانب والدى حيث الاشغال متراكمة عليه

وتعلمين أنه كبير وقدطعن في السن وهو وحيد وليس له مساعد سواي فعفوا أرجوه منك وعذراً لى التمسه من قلبك الذى وكأني أسمعه يخفق مضطربا بين جنبيك.... حبيبتى العفو من شيم الكرام

والان أقدم لك تشكراتى القلبية الصادرة عن صميم فؤاد يضطرب لذكر اسمك ثم أشكرك لتهنئتك أياي بالنسبة لنجاحي فى الامتحان وأسأل الله تعالى أن يلم شملنا عن قريب

وأسأل من بفرقتكم رماني يمن علينا يوما باللقاء

هذا وعشمى منك دوام المكاتبة ولا تفكري بشيء ماسوى صحتك وماأنذا أن أمداليك كفي مصافحاأياك ولازلت حبيبك الوفى المخلص على الدوام زكي

فرأت وهيبة هذا الجواب وهي تشعر بأن التمامة قد حلت بواديها وظنت انه قد هجرها أو تعشق سواها . ومالبثت

تتضاربها الافكار والظنون بطول نهارها وكذلك باتت بطول الليل

الفصل الثانى عشر

(شفاء المريض — مقابلة بعد البعاد)

مضى على هذه الحوادث نحو من ثلاثة أسابيع أوشهر تقريباً وعاد أحمد بك بنجله الى قصره الخلوى بالزيتون

وابتدأ بعدئذ يحضر فى مخيلته مشروعا عظيما صمم عليه الا وهو افتتاح الفابريقه لابنه

وكان بطول هذه المدة تشتم رائحة الغرام والحب الشديدين على الطريق ما بين رأس البر والزيتون

وبعد رجوع أحمد بك بولده بنحو خمسة أيام عاد الشيخ بفتاته (غادة المصيف) وقد اكتسبت هذا الاسم عن أحقيه واستحقاق وقد تماثلت الى الشفاء وعاد اليها رونقها القديم وجمالها الفتان فأصبحت

(١) كزهرة من زهور الفيض يانعة
يهواها كل الورى عرب واعجام

(١) للمؤلف

وبعد ان باتت ليلتها موسوسة الفكر مضطربة الافكار وأصبح الصباح فأرسلت لاخبار حبيبها تعلمه بمجيئها ولأن يوافيها الى الجزيره حيث يمكنها مقابلته ومحادثته على انفراد

وفي رأد الضحى تناول زكى رسالة وهيبه فتلقفها وهو يكاد يرقص فرحاً فتنهد طويلا كأنه رمى بحمل ثقيل عن كتفيه لانه علم انها تود مقابلته فانتظر الفتي حتي اذا انحرفت الشمس عن كبد السماء سار الى مكان الموعد فوصله متأخراً وكانت بانتظاره على أحر من نار الجمر

. . . .

تقابلا هناك وها أنا أترك لمخيلة القارى تصور حالة عاشقين اجتمعا بعد فرقة وبعادوقد عاملتهما الايام بالمناد. وبعد ان جلسا شكرا الله على هـذا اللقاء ولكن الفتي لاحظ ان وهيبه على غير عادتها

فهناك فى ذلك المكان وعـلى شاطئ النهر وتحت ظل الاشجار الباسقه أخذ يتحدثان ويدها بين يديه وهما ينظران الى بعضهما

ــ يالك من قاس القلب . ويالك من حبيب غير شفيق

قالت ذلك ورفعت القناع عن وجهها وأرخت بنظرها الى الارض

ـ رفع يدها الى فمه وقبلها وقد اضطرب فؤاده لاستماع هذا الكلام ولكنه عهدها ذات تيه ودلال فقال ترى ما الذي بدالك من قساوتي وأنا أحن قلبا عليك من فؤاد أمك وقلب أبيك »

ـ عجبا أألى هذا الحد تدعي الحنو وتتبرأ مما أصمك به من القسوة في معاملتي انك والله لعنيد أما وعدت وأخلفت وأنت . أنت تعلم أن وعد الحر دين عليه نعم حبيبتي فهذه حقيقة لا تنكر ولكن هي الظروف قضت بذلك وجرت ولا مرد لم يأت به القدر

ـ لا ـ لا ـ تعيسة أنا وشقيه فقد سلمتك زمام قلبي فتركته تلعب به أيد الصدود ـ وأهديتك روحي ولكنك والله لحبيب جحود فأنا قد علمت السبب الذي منعك عن المجيء .

قال بدهشة . أنا ؛ أنا وأيم الحق انك لمخطئه في ظنك

ـ فأرادت ان تمتحنه زيادة شأن الفتيات العاقلات فقالت بعد ان أظهرت اليأس دعني منك دعني من هذا الكلام . قالت ذلك وسحبت يدها من بين يديه بخفه ثم وقفت واسدلت

برقمها على بدر وجهها وسارت خطوتين ثم التفتت اليه وهو مبهوت مستغرب وقالت بحمية ولهجة شديدة

أنتم يامعشر الشبان ياشبان اليوم . قد دلت التجارب على انكم لا تثبتون على عهد ولا حب ـ وما الفتيات عندكم الا كلعبة أو كالاعيب تتمتعون بها كيف تشاءون اذا تمكنتم ـ وانكم كثيراً ما تغررون بأمثالنا بوهمياتكم الباطله وأكاذيبكم الملفقه وترهاتكم المزخرفة والحقيقه كما دلت وأخبرتنا عنكم النتائج انكم انما تبنون لنا قصوراً على رمل في مهب الرياح ومجرى العواصف ؟؟ قالت ذلك ثم تركته يهمل دموعه وسارت ببطء ـ اندهش زكى لهذا الحال الذى لم يكن يحلم به فقام وهو يرتعد ويضطرب ـ وقال وهيبة ـ وهيبة لا تظنين بى سوءا ـ فانا ......

كفى كفى بالله ولا تتكلم فياطالما برهنت لى على صدق وعودك ؟؟ وحنو قلبك الذي هو أشبه بريشه في مهب الرياح والعواصف ... قالت ذلك بتهكم واعتدلت لتسير فى طريقها ولكن زكى لما رأى منها ذلك ولم يكن يعهدها كذلك سار وراءها وهو مطاطئ الرأس والدموع يديه في جيوب بنطلونه

وسار متمهلا ثم أسرع قليلا حتى وصل اليها وقبض على ذراعها بلطف وأوقفها وهو يكاد يسقط أرضا . وقال لها بالله كفاك عزيزتي تجريبي غصص الهجر ومر الصد فما عشمي من قلبك ان أعامل بتلك المعاملة القاسية وأنا الذى أوقفت لك عمري في حبك وحياتي .

. وهيبة . وهيبة . تكلمي . ردى فقد عودتني سماع ألفاظك العذبة . لم تنطق ببنت شفه

اه ياللعذاب ألهذا الحد يكون العقاب ؟ ماذنبي ـ وما الذي جنيت ـ اسمع يا عزيزي ـ كفي رياء ومداهنة . اذ لست ممن تنطلي عليهن الحيل ويدخل على أفكارهن المكر عفواً كلا وانما أعدك وعداً صريحاً بأنني لن أعد أكلمك ما دمت باقيه فى عالم الوجود ـ مالم تصدقنى الخبر

قالت ذلك وأرادت به زيادة امتحانه وهو يجهل ذلك فوقع فى يده ثم تمتمت قائلة ـ لماذا أوعدت؟ وأخلفت ؟ ولماذا تغير قلبك من جهتى . اه ماذا أقول وبماذا أعبر * بالله لا تثقل على بهذا السؤال لانني اضطرب عند سماعه ـ اذ كلما أتذكره تدور فى مخيلتى اسطوانات من فونوغرافات المصائب والاحزان

نعم . نعم . فهذا هو الجواب الكافى !!! أليس كذلك قالت ذلك بتهكم وأفلتت من بين يديه وأبتعدت كالغزال الشارد وسارت وهي لا تلتفت اليه حتي توارت عن أبصاره وهو واقف يتأمل في حالته وجعل يتميز غيظا وحنقا حتي عض على نواجذه وضرب الارض برجليه وقال بصوت بتهدج غضبا وقد خنقته العبرات . يالى من تعيس .. نعم نعم تعيس فقد ملكتها قلبي وما عتمت ان لعبت به غير هيابة وسلمتها قودي فتركته ولكن اه .

أحبها تكرهني - أطلب قربها تصدنى اؤمل رضاه تسخط على ما هذا الحال ولكن فالحق على انا وحدى ... نعم .. وليس أحداً سواى

فهذا جزاء كل من يترامى على حب فتاه كهذه وأظهر لها ما كن في قلبه وجاش بين جوانحه وأبان لها شدة ميله وشغفه لها وبها فقد لا ينتظر الا مثل هذه الفعال التى تؤلم القلوب وتصدع الافئدة زيادة عما بها من الام الحب والوجد والغرام

ولكن فصبرا يا قلبي ولا تضطرب جزعا . وأنت

يافؤادي فاصبر ولا تمل وتضجر

(١) فالصبر درس يأتيك الزمان به

واليه كل الوري خطب ومخطوب

فاصبر فؤادى لا تجنح الى ضجر

فكل أمر تراه العين مكتوب

ردد ذلك ومال الى جزع شجره ضخمه هنالك فجلس تحت ظلها الوارف وقد وضع رأسه بين يديه وأخذ يبكي واذ به يسمع صوتا جميلا حملته اليه نسم الصبا وكأنه تغريد البلابل بين الافنان واذ به يقول

(١) يا عاشقا يبكى صدود (وهيبة)

جفف دموعك فالصدود محال

ان الحبيبة ما جفتك وانما

صد الحبيبة رقة ودلال

فانتبه لهذا الصوت وأصغي الى هذا اللحن الشجي فأشجاه التغريد فأزاد بليته فزفر زفيراً محرقا وأن أنين الموجوع فرفع رأسه ونظر الى من حوله فى المكان فلم يجد أو يرى أحداً

---

(١) للمؤلف

بل فالسكون شامل والطبيعة ساكنه وقد خيم الظلام على ماتيك النواحي فاكسبها رهبة على رهبة

فعاد الى حالته وأخـذ يبكي حالته وأخـذ يناجي مغرد الصوت فقال

(١) ياأيها الصوت المرنم ههنا اشجيتنا برخيم صوتك كلنا
انا وقلبي والفؤاد ومهجتي روحي ونفسي فانظرن دموعنا

وبعد ان أنشد تلك الابيات بصوته الرقيق بتأثر وتألم شديدين . قال اه لقد خاب ظني في حبك ـ وخاب أملي في قربك ما أقساك وما أتعسني ثم وضع رأسه بين يديه ورجع الى البكاء والنحيب . وقال بعد التفكر لابد أغراها الوشاة وثم ينصرف الى منزله حتي سمع الصوت وهو يرنم هذه الابيات بصوت أبح فيه رعشه حزن وأسى

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم
سهرنا على حكم الغرام ونمتم وليس سواء ساهرون ونوم

فقال زكي وهو يرتجف وقد أشجاه الصوت

وكذا عهدنا أنتانكم الهوي فأغراكم الواشي وقل وقلتم

(١) من نظم المؤلف

فيأيها الاحباب فى السخط والرضا | على كل حال أنتم القصد أنتم
لى عند بعض الناس قلب معذب | فياليته يرثي لحالى ويرحم
وما كل عين مثل عيني قريحة | ولا كل قلب مثل قلبي متيم
ظلمتم وقلتم انما الحب ظالم | صدقتم اذا صح الحديث صدقتم
سلوا مغرما لا ينقض الدهر عهده | ولوكان في احشائه النار تضرم

فالى هـذا الحد خاطبه الصوت من عل وقال سمعناك فرثينا لحالتك وقد أبكيتنا ياهذا فمن أنت وكفي كفي

فوقف ينظر الى أعلا وكان على مقربة من مكانه قصر بني هنالك يسكنه بعض الاغنياء

فقال أنا زكي ...

ـ أأنت العاشق لوهيبه

ـ ويلاه من أنت أيها المخاطب فاني أظن أنى قد سمعت صوتك من قبل

ـ صديقك المخلص

ـ صديقى المخلص ـ بالله قل من أنت

ـ أنا فكرى رفيق تلمذتك

ـ ومتي حضرت من رأس البر

ـ قد صار لي بضعه عشر يوما

ـ فخجل زكي من ذلك ولكنه تجلد وقال أذن الحمد لله علي سلامة وصولك . الله يسلمك ياعزيزى تفضل

ـ ان الوقت قد صار ليلا فها أنا ذاهب الى قصرنا

ـ أذن الاعم مساء يا صديق

ـ أسعد الله مساك يافكرى

ومن ثم سار زكى وهو يقول قد رآنا الصديق مجتمعين على ما أظن ولكنه نعم الصديق فلا خوف من ذلك ولافكر وبعد أن سار قليلا أكمل تلحينه وهو فى الخلاء فقال

اه ـ ما العمل ياربي ما العمل

اذا كان خصمي في الصبابة حاكمي
لمن أشتكى خصمي لمن اتظلم
فلولا افتقارى فى الهوى وصبابتى
لما كان لى فى العشق قلب متيم

ومازال سائرا كذلك حتى وصل الى منزله وهوغريق فى بحور من الافكار

• •

بعد ان رجع الشيخ بفتاته لم يرق للصديقين ان يقيما في الفندق برأس البر بعد سفر (غادة المصيف) فقد برحاها أيضاً الى مصر

وكان أحدهما وهو فكري يسكن جزيرة مصر وهو صديق لزكي جداً والآخر وهو شوقي كان من سكان عابدين

ولما حضرا الى مصر افترقا ولم يعودا يتقابلان بعد ما قد حكمت الظروف على أن يعرفهما القارئ وسنحت الفرص لان فكري يري العاشق فأخذ يداعبه كما قدمنا

....

وصل الفتى الى منزله أماوهيبه فبعد أن افترقت وبعدت عنه حتى توارت عن ابصاره سارت وهي تبتسم ابتسامات لطيفة وجعلت تغمغم بعض كلمات وجعلت تقول في سرها .

ها أنذا قد تحققت وتأكدت من حبه لي ولكن اه وتنهدت طويلا انه لمسكين فقد استعملت معه القسوه حتى بكي وهو جميل رقيق

وبعد أن سكتت وتفكرت قالت لابد لي من استخراج

مكنونات صدره حتى أكون علي ثقه من حبه

نم حقيقةفقد عرفته شابا مليحا متعلما ممتلئا لطفا يفيض رقة وأدبا وعهدته ذا شفقه وحنان ولين عريكة ٠٠٠٠ ولكن لا ٠٠٠ لا ـ لاتغشنى الظواهر فما المرء الا ابن التجارب٠٠٠٠ نم ٠٠٠٠ فما شبان اليوم الا ابالسة الارض وشياطين الدنيافهم يتزينون ويرتدون أنخر الملابس ويداهنون الفتاة ويلقبونها بكل لقب جميل ويصفونها بما تميل اليه من الاوصاف فتغتر به الفتاة فتتطوح في بحر الغرام وتقع في شباك الهوى غير عالمة بنتيجه تطوحها هذا وبعدئذ لا تلبث ان ترى نفسها الا وقد غرقت في بحر الفساد فتناجذ بها تياراته الجارفة فتريد التخلص من بين أمواجه الهائجه ولكن أني لها من ذلك وقد تدنس ذيلها الذى كان اطهر من قلب يوسف وسقطت مرة واحدة من علو شرفها الى حضيض العارسقطه لا مقام لها من بعدها

فتعيسة تعيسة أنت أيتها الفتاة ومسكينة أنت جداً حينما تغترين بزخرف القول وزائف الكلام ـ فانك لا تلقين بعد ذلك الا ... ضيحه وقد وقد تلبستك فهناك اأنئذيكون نصيبك النوح والبكاء وصرير الاسنان والندم حيث لا ينفعك الندم

وبعدئذ سارت طويلا وهى ساكنه وبعدئذ قالت وقد طرأ على فكرها المتوقد زكاء يأيتها الفتاة الطاهرة الذيل ـ يا أيتها السليمة القلب والنية ـ أنت يا طفلة أمس . وابنة اليوم وعروس غد يامن ستكونين أماً فى مستقبل الايام أنصحك وانا فتاه طاهرة سليمة النيـة اخلص لك في النصيحة . . . حذار من الشبان أولئك الشياطين واتخذى لنفسك عنهـم حصنا منيعا من الادب والعلم ولتتدرعي بدرع من الكمالات والحكمة وحسن التبصر فى العواقب. كى يمكنك وأنت زهرة مكممة فى بساتين الاداب الرائعة والجمال الحقيق بأن تحفظى لنفسك مركزاً جديراً بمثلك يوم تصبحيين زهرة الروض اليانعة يوم تحول اليك العيون فترمقك بملء الاعجاب . فتشتهيك النفوس لتكوني زينة فى صدور الرجال , . . . والى غاية هنا وصلت الى منزلها فتدرجت سلمه وجلست قليلا كى تستريح وتناولت طعام العشاء ودخلت الى مخدعها وخلعت ملابسها وجلست الي سريرها تفكر فى حبيبها الذى تركته يبكي وينتحب

فأخذتها الشفقة ودفعها الحب الدفين بين جوانحها فكتبت الى حبيبها رسالة قد رمت بها الخادمة فى صندوق الخطابات

وكان قريبا من المنزل

. . . .

استيقظ زكي بدريا وليس بمادته خصوصا في أيام العطلة ولكن كان أرقاً بطول ليلته من تزايد همه وحزنه

فبينا هو يسير بين أفنان الحديقه بخطوات ضيقه وقد ارتدى برداء أسود طويل كثيف اتقاء من رطوبه الهواء في الصباح

وظل كذلك يمشي متراوحا بين دوحة وأخرى ويجوس خلال أشجار الموز والليمون وهو يتنهد طويلا وقد وضع يديه في جيوب ردائه الطويل

وبعد ان شقشق الفجر وتبعه طلوع النهار وأخذت روح الحياة تدب على وجه الارض وقد صار الوقت ضحي اذ وافى حامل البريد وسلمه جملة خطابات وبينها خطاب من وهيبة فكاد يرقص لذلك فرحا

ولكنه تصبر وفضه ليتصفحه واذا به ما يأتي

حبيبي وروحي زكي

أهديك سلامى الوافر . وأشواقى المتزايدة وبعد فياعزيزى لقد عهدتك بعد اختبارك فألفيتك والحق يقال أحب حبيب الى والآن فقد زادت ثقتى بك كثيراً جداً وانى وان كنت عاملتك أمس بالجفاء فما هذا اعراض منى عنك . كلا . وأنما فهذا لم يكن الا بقصد امتحانك وتجربتك كى استزيد علما بأحوالك وطباعك التى اعجبتني هذا وانى أتمشم ان تمد يدك الى يدى ونطوى مافات طى السجل وأرجوا ان توافيني بعد باكر عصراً الى حديقة المنتزه والامر مفوض لك وأنا على طول الدوام حبيبتك السعيده بك المخلصة في حبك . وهيبة

قرأ هذا الجواب واستغرب جداً حتى صار يضحك كمن أصيب بمس في عقله ولكنه دهش لقولها (بقصد امتحانك وتجربتك)

فقال لله ما أدرك من فتاة وما أزكى عقلك ياوهيبة وما ألطفك وأرق شمائلك وبعدئذ سار وقد تنهد كثيراً وأخذ يزفر زفيراً محرقا كأنه رمى حملا ثقيلا أثقل عاتقه

. . . .

وكان فى أثناء هذه المدة نعيم بك يزور صديقه ولما علم

عاجرى لاحمد بك وهو كان في الاسكندريه تكدر ولم يمكنه الحضور لانه كان منهمكا في اتمام مهمة عظيمة جداً

وهي أنه لما كان يتردد على قصر أحمد بك كان يأخذ منه بعض أفكار ربما افادته في مهمته التى كان يشتغل لها مهمة لا تعرف الملال

وهي أنه سعى جهده في طلاق أبنتيه من رجليهما اللذين شبا على حب التطوح في بحر الرذيلة والابتعاد وعن الفضيلة ما أمكن

وبعد الجهد والعناد تمكن من ذلك نعيم بك وأبعد هذين الوحشين الضاريين عن هاتين الغزالتين اللتين أصبحتا تئنان تحت وطأة أمراض قتاله شوهت جسومهما فاذ بلت يانع غصنهما الرطيب قبل أوانه

الفصل الثالث عشر

التعاهد والثبات في خطبة وهيبة

انتظر زكي دنو الميعاد بفروغ صبر حتي أنى اذا دنا ذهب الى لقائها مسرعا فوافاها الى حديقة المنتزه وكانت بانتظاره وبعد التحية والعتاب أخذا يبثان بعضهما مراره الفراق وشدة

الغرام وناره المشتعله في القلوب وكيف كانت حالة كل منهما في غياب الآخر

وبعدئذ قدم لها نسخة من جريدة (الاهرام) وأراها قطعة لتقرأها فما كادت تقع أبصارها عليها وقرأتها حتى وقفت الي جانبه فزعه مرعوبة وقد تناثرت الدموع من عينيها وابلا هتانا وقالت ما هذا الخبر المؤلم فقبض على يدها بخفه ولطف وأجلسها بجانبه وهدأ روعها وقال لها بعد ان مسح دموعها ودموعه بمنديله

أرأيت اذن أتحققت زيادة أهل كنت أسرع لاخبارك عن حدوث هذا المكدر وكنت على يقين من انك لم تزالى غير متماثلة للشفاء ـ فلام حبيبي تعامليني بالقسوة والدلال ثم قبلها قبله بين عينيها ارتعشت لها أعضاؤه وهي أيضاً وارتعدت فرائصه

ـ شريفه هي نفسك جليلة هي أعمالك قالت ذلك بخجل زائد لان وجنتيها احمرتا من تأثر القبلة

ففي تلك الساعه وهما جالسان على تلك الحالة مر بهما شفيق وعهدي بالقارى انه لم ينسه اذ هو ذلك الفتى المغرور الذى

أهانته لما كانت فى غرفتها وحيدة فى الفندق

فانه لما مر بهما وهما كذلك ابتسم ابتسامه معنوية ونظر شزراً وقد تكهربت أعصابه وغص بريقه حنقاً فارتعدت فرائصه فأخذ يتراوح جيئه وذهابا وهو يهز عصاه ذات اليد الذهبية بين أصابعه

فعجب زكي لهذه الاحوال الجنونيه والاعمال الصبيانية

ـ أما وهيبة فقد ارتمدت واضطربت وسرى الدم فى عروقها غاليا فرددت فى قلبها وهى تسخر منه

ـ أظن هذا الاحمق بأني وحيدة هنا أيضا ـ ألم يكفه ترى ما لحقه من الطرد والاهانة أيام كنا في المصيف .

ـ يا للعجب من هذه الاحوال

جعل زكى يتأمل تارة فى هذا المتوه وأخرى فى وهيبة حتى اذا رأى عليها اضطرابا وسمعها تتمتم بصوت لا يسمع ـ تحير وقال لها ما بالك يا عزيزتى وعهدى بك رابطة الجأش ـ فما لى أراك تضطربين ـ أيعرفك هذا الشاب ؟

ـ نعم ولكني لا أحبه مطلقا فهو ابن جارنا عبد الله بك وقد كان أيضاً برأس البر هذا الصيف وكان أراد أن يخدمنى

خدمة توصلا لنوال رضاي فتصادف انه كان مع والدى مرة وقد اشترى لى والدي بعضاً من الفا كهة فوضعها (حضرته) فى منديله وقال أنا انما ذاهب يا سيدى قريبا من الفندق فاسمح لى أن أحمل هذا الى هناك ـ وماذا جرى

ـ لما كان والدى ـ لا ينطوى قلبه على مكر ولا خبث وكان طيب السريره سمح له بذلك لانه أيضاً ابن صديقنا عبد الله بك وجارنا القديم

ـ حسنا ـ حسنا ـ وما الذي فعله أخيراً

ـ لما وضع الفا كهة في منديله سلمه والدى جوابا باسمي وقال له أرجوك اذا ذهبت الي قريب من الفندق تعطى هذا الجواب والفا كهة للخادمة هنالك لتعطي هذه الاشياء لوحيه

غريب هذا الامر ! وأخيراً

ـ وأخيراً ما كاد يسمع ذلك حتى طار فرحا لظنه أنى أرضى عليه ـ فلما حضر أعطى الفا كهة للخادمة أماهو فحضر لغرفتى بالجواب

ولكن ما هي برهة أو أكثر الا وقد طردته من حضرتى مهانا محتقراً بعد أن استلمت الجواب فتركني ونزل

وهو يتوعد ويتهدد

ـ اذن فهذا يستحق العقاب مني الآن ـ وهم أن يلحق به لانه شعر أن بين القلبين تنافر وعدم تآلف

ـ فأمسكت به وهيبة وقال ألم أقل لك أنه ما كاد يصعد نحو غرفتي وأراد أن يكلمني أو أرد عليه كي أطفي نيران وجده (المتزايده) وهنا ضحكت حتى دممت عيناها

ـ اتركيني ـ اتركيني ـ فلابد لي من الانتقام ه اذ كيف يخون والدك ويغشه ويأتي نحو غرفتك وأنت وحدك هناك :

ـ بالله عليك اتركه اذا كنت تحبني

ـ فما كاد يسمع ذلك حتي هدأ ثائر غضبه وجلس الى جانبها وقبلها وقال آه .. شريفة أنت يا وهيبة ـ عظيمة أنت فى عيني رأسي قال ذلك وتنهد ثم قبل يدها بلطف واستمر في حديثه وقال يالك من ملك سماوي طاهر.. هبط عليّ من السماء ليزيل همومي وأحزاني ويزيد في أفراحي وهنائي ولكن آه ـ أتحبيني مثل ما أحبك يا وهيبة

ـ لم تجبه وقد توردت وجنتاها وكستها حمرة الخجل

وأرخت بنظرها الى الارض وأخذت تنكت بقدمها أرض الحديقة

ـ تكلمي قولي أحبني أحبني اذ يلذ لي أن أسمع هذه الكلمة من فمك فابتسمت ابتسامه لطيفه حياء وازدادت خجلا وقالت ـ نعم ـ نعم أحبك فضمها الى صدره بحنان ولطف وقبلها من فمها بحراره

ـ فصبغ الحياء وجنتيها وقالت حبيبي ـ مد لي يدك لاقبض عليها وأعاهدك عهدا لا ينقضي الا بانقضاء أجلي

ـ مدلها يده فقبضت عليها بشدة وقالت عاهدت نفسي بما أوحاه الى قلبي الذي يضطرب بين جنبي لذكر اسمك المحبوب المنقوش على صميم فؤادي بأني لا أحيد عن حبك ولا أتحول عن هواك ثم سكنت فقال الفتى

ـ وها أنذا أيضا أعاهدك والله على ما أقول شهيد بأن قلبي وقلبك لمربوطان بحبل المحبة المتين واني لا كرز نفسي لحبك وأهب روحي وقوتي وحياتي في سبيل نوال رضاك واني مادمت حيا ياحبيبتي ماحلت عن حبك ولا رجعت عن هواك فانا لك كما أنت لي واني لاقسم هيكل الحب

المقدس وبشرع الغرام الطاهر اني أسعى جهدي لنوال يدك ولم شملنا

وبذلك تكون تمت لنا السعادة والهناء

ـ ولكن حسبك يا عزيزى من هذا الطائش وحذار منه فهو كأبليس

ـ لا تخفي يا حبيبتي قال ذلك ثم قبلها فقبلته بحرقة ومن ثم قاما وانصرف كل الى منزله وفى قلبـه النيران تتسعر على أمل أن يتلاقيا عن قريب متي سنحت لهما الفرص

مرت على هذه المقابلة بضعة أسابيع كثرت فيها المقابلات بين هذين العاشقين اللذين كانا كلما طال زمن تعارفهما زادت فى قلبها عوامل الحب والغرام حتي كادا لا يفترقان عن بعضهما لحظة عين

وفي أثناء ذلك كان شفيق يراقب حركات وهيبة ويردد فى قلبه كلمه (الانتقام) منها

ولما كثرت مقابلاته لها اضطرمت في قلبه نيران الحب فأخـذ يسعى عنـد والده ووالدته يسألهما بالحاح لان يشرعا بتزويجه

فلما كان لايجد الا أذانا صماء أقفلت دون استماع حديثه عمد الى الخوض في بحور الفساد وتطوح مع تيارات الخنا وأتى عنداً بأبيه كل منكر وعمد الى الحانات ينتابها آناً بعد آن وحينا بعد حين ويجلس الى مقاعد الخمر والميسر حتى ضج منه أبوه

وكلما كان ينهاه لا يزداد الا طغيانا وجنونا وكلما ينصحه يزيد في طيشه وحماقته

ولما أن رأى والده ذلك ووجد منه أنه لا يرده عن ذلك الا الزواج أخبره بأنه سيزوجه اذا سكن وعاد الى صوابه

ففرح بذلك وأطاع وانصلح أمره وكان والده أخبر زوجته بأن تبحث لشفيق على فتاة تليق بمقام العائلة

فهمت أم شفيق للبحث فأخبرها هذا الاحمق أنه لأهون عليه أن يموت اذا لم يقترن بوهيبة (٠٠٠٠٠٠) ابنة على بك

فتوجهت الى هنالك وتم الاتفاق وخطبت وهيبة هانم لشفيق أفندى تم ذلك فطار شفيق فرحا حتى آل الامر الي انه أخذ يعدو بسرعه في ميدان عابدين وهو يصفق بيديه

وهو يقول نلتها نلتها نلتها

وبعد أيام لم تنفك وهيبة في أثنائها عن البكاء لحظة حتى تقرحت أجفانها ولزمت الفراش وعلم بذلك حبيبها فطار عقله ولبه فبكي وأن وتوجع وأقسم انه لاينفك عن منازلة خصمه ومناصبته العداء وغدره لقتله اذا أدت الحالة لذلك لانه وثق وتأكد من ان هذا العمل ماهو الا مكيدة للايقاع بوهيبة .

فجعل يتحين الفرص للايقاع بشفيق حتى أنه اختبأ مرة بين أشجار حديقة منزل حبيبته وكاد يضرب شفيقا عيارا ناريا لولا انه سمع وهيبة تقول له بصوت ضعيف مضطرب

زكى - زكى - حبيبي - ارحمنى - وارحم شبابي لاتفعل ذلك فهو جبان واذهب أنت وكن مطمئن البال هادئ الفكر فأني لا ولن أرق اليه وأن السماء وبدرها الأقرب اليه من وصوله الىّ أو اجتماعي به

وبعدئذ مضى نحواً من السنة ووهيبة لا تنفك عن مكاتبه زكى بكل مايحدث وهو كذلك لان والدها الشيخ أمرها بعدم مبارحتها المنزل مطلقا لانها بانت خطيبة لشفيق وبعد أيام مضت بعد السنة وقد أصبحت وهيبة كالخيال وقد

حزن لها والدها حزنا كثيراً سألها عن السبب وقال لها أصدقيني الخبر ما بك يا بنتي فقالت بحمية وغضب وجرأة شديدة اللهجة وعيناها تذرف الدموع كتمت عنك خبر بغضي لهذا الاحمق ولكنك أعلم بذلك البغض واني ما كتمته عنك الا لكي لا يقال أن الابنة عقت أباها الشيخ فأنا أحتقر هذا الشاب المعتوه وأخبرك بكل صراحة حيث لم تعد تنفعني الحياة بأنى لا ولن أزف اليه اذ نواله يدي لهو رابع المستحيلات واني اذا فرض وقدر بأن زففت اليه مرغمة فلا ولن أزف الا الى قبر والدتي لأرقد هنالك بجانبها وأنام مستريحة بسلام

قالت ذلك وارتمت علي أقدام والدها تقبلهما وهي تقول ارحمني يا أبي - ارحم شبابي يرحمك الله ... أين الرأفة والحنان ... فتأثر الشيخ من كلام الفتاة وما عتم أن أغرورقت عيناه بالدموع فبكى فسارت هي في حديثها وقالت

اغتررت أنت بالمال المقدم منهم مهراً الىّ - فأنا لست دابة أباع وأشترى - كلا - وانما فأنا من مخلوقات الله ذوات الشعور والاحساس اللواتي يفرقن بين الطيب والخبيث والحسن والرديء ولذا فلي حق المشاورة والاختيار لا أن

أرغم علي قبول بد أى فرد ينغص عيشى ......

وعلي كل حال فهذا الشاب الذى ظن اقترانه بي سهلا ـ أنا لا أحبه ولا أود أن أراه لانه فظ غليظ وقح فاسدالتربية وبا طالما أخبرتني شقيقته نعيمه هانم أنه يضربها أحيانا ويهينها لدرجة أنه يتسافه عليها وأنه لا يأتى ويعود للمنزل وهو في حوزة أبيه الا بعد منتصف الليل فى حالة سكر وعربدة حتى تكدر منه أبوه وكرهه أهله وذووه

أفهل اذن أنا ابنتك التي طالما كنت تقول لى سلوتى بنيتى ـ عزيزتي وغير ذلك ـ والآ ن أردت تزوجنى بوقح فاسد الاخلاق مثل هذا ـ كلا ـ كلا ـ نم ـ نم فأنت اذن وإياهم على قتلي شركاء ـ وأخذت تبكي بعدئذ بكاء مراً وقد غطت وجهها بيديها وقالت اه ياربي ماهذا الحال ومن ثم ارتمت واهيه القوي الى مقعد هنالك وأغمي عليها

ـ وهيبة وهيبة صرخ الشيخ بانزعاج وقد اضطرب فؤاده وطار لبه ابنتى عزيزتي ـ وهيبة ـ سلوتى ـ وهيبه فلم ترد عليه مطلقا ـ فصرخ متأوها وجعل يبذل الجهد في افاقتها وقد التف حوله الخدم وبعض الجيران ومازالوا

يمالحونها وقد تشنجت تشنجا عصبيا طويلا ملأ قلوب المجتمعين رعبا ورهبته خصوصا والدها الشيخ الذى كان يئن ويتوجع لمصابها وهو يلعن هذا العريس الذي سبب لها النكد وله أيضا..........

وبعدئذ أفاقت وبعد انصراف الناس طمنها والدها وأخبرها أنه سيوالى البحث عن سيرته وأخلاقه حتى اذا وجد فيها ثمت اعواجاج عن طريق الصواب والعقل والادب فلا شك أنه سيرد اليه المهر فعند ذلك هدأ روع الفتاة وبعد قليل أرسلت وأخبرت زكي حبيبها ففرح فرحا عظيما حتي كان يصفق بيديه من فرط سروره لانه يعرف أن شفيقا هذا ممن تولعوا بشرب الخمور وتعودوا على ادمان المسكرات والمخدرات واعتادوا على ارتياد محال الموبقات وانه والحالة هذه قد لا تطول زمن خطوبته . وان طالت فتأكد أنه لا بد من فكاكها لان من شب على شيء شاب عليه وعلى بك قد ابتدأ بالبحث والاستفهام

﴿ الرابع عشر ﴾

(فك الخطبة بعد بحث على بك)

انقضى بعد هذه الحادثة مدة أسابيع وشفيق لم ينفك عن زيارة على بك من عهد خطوبته وأكثر من التردد والزيارة في الايام الاخيرة زيادة عن ذي قبل وفي كل مدة يظهر من الرقة في الحديث واللطافة في التكلم والتفرنج تارة حيث كان يعبر عن بعض ألفاظ باللغة الافرنكية شأن شبان اليوم الذين خلطوا بين لغة البلاد وغيرها........

ولكن في كل هذه المرار لم يتمكن من رؤية خطيبته وقد بذل على بك كل ما في وسعه في البحث عن سيره وسلوكه في الشوارع والمنزل وتنسم أخباره من المعارف والاصدقاء

وزكى يوالي مكاتبتها فتكاتبه عن الحالة وهما يزدادان سروراً يوما عن يوم ولما كان لكل مقدور أن يجري ويحدث ومن شب على شئ شاب عليه ومهما تبطن تظهره الايام والطبع دائما يغلب التطبع

أخذ شفيق من بعد خطوبته وقد دفعته نفسه الى ما

تعوده من قبل فاندفع متبعا أهواء نفسه وكان علي بك يوالى البحث والتنقيب فدفعت النفس بشفيق وهي امارة بالسوء وجرته الى بحور الفساد فغاصها حاسبا ان عين الرقيب غير ناظرة اليه خفيه ولم يكن يدر ان والد وهيبة يوالى البحث عنه وعن سيره وأخلاقه

. . . .

ففى ذات ليلة فى الشتاء وقد تلبدت سماء القاهرة بالغيوم وكساجوها الضباب المظلم والسحاب الكثيف نزل شفيق من من منزله يرتدى بأفخر مايلبسه أبناء الاغنياء وعكف الى سابق عوائده في مثل ليالى هذا الشتاء فارتدى ثوباً ثخينا أسودا والتف بعباءه كي يتنكر عن عار فيه وسار حتى وصل الى (الازبكية) تلك البقعه التى هى منبع الفظائع والشرور ومستودع السموم من الخمور مكان الموبقات والمحرمات تلك البقعه التى تفتح فما وتفغر فاها لابتلاع أموال الناس من الجهلاء والشبان الوارثين الذين لايفرقون بين الدرهم والدينار ولا ماهية الجنة ولاماهي النار فهناك في تلك البقعة بقعة التعاسة والشقاء تقدم شفيق اليها بقدم ثابتة ثم انعطف يمينا وطرق ناديا نيرت غرفه

بالانوار الكهربائيه وقد أحتشدت الشبان بداخله

فدخل واتخذ له مقعدا والى جانبه فتاه جميلة صادها من الشارع وما هى الا عروس من عرائس سقر قد تمطرت وتبرجت وزججت حواجبها وعقصت شعرها الذهبي كالتاج على رأسها فجعلت تداعبه ويداعبها وهما يرتشفان كؤوساً هى السم الزعاف وما عتمت ان لعبت الخمره بالرؤوس فمال عليها ومالت عليه وما هى لحظة أو أكثر الا وقد انتشلت جزدانه من غير ما يشعر بذلك وتركته صريعا من الخمر وانسلت خارجا وغابت حتى لم تعد ترجع بعد

تركته وانصرفت فائزة بهذه الغنيمه الباردة وقد مال برأسه الى الحائط وغط فى نومه وقد تخدرت أعصابه فلم يعد يقوى حتى ان يفتح عينيه أو يتكلم وبعد أن عزم الفندقي ان يقفل أبواب محله ايقظ صاحبنا وهو على تلك الحالة ومد له كفه مطالبه بالحساب (وكثير ما هو طبعاً)

فقام واقفا وهو يترنح ذات اليمين وذات الشمال ووقف وقفه الابهة والعظمة ومد يده الى جيبه ولكنه سرعان ما صرخ بصوت عال - ويلاه أين نقودي ؛ وساعتى الذهبية - أين

الامرأة. يالما من شقية وأراد ان يجرى مهر ولا يحث عنها وقد طار لبه فأمسك به الخادم وطالى بينهما الجدال حتى أدى الامر من المشاتمة الى الملاكمة فملا بينهما الصياح والصراخ وحالا حضرت رجال الدرك (الخفراء) وقبضت على المتماركين وهنالك فى البوليس في قسم الازبكيه حجزا وبعد عمل محضر التحقيق أطلق سراح الخادم لانه (حماية) .... ولانه صاحب دين .....!

وأما شفيق أفندى فقد أودع السجن للصباح حيث عمل له محضر سكر وعربده وأقلاق الراحة العمومية

....

وفي تلك الليلة نفسها لما تأخر شفيق عن الرجوع الى المنزل تحير والده وحسب لذلك ألف حساب فأرسل يسأل عنه عند منزل على بك فلم يجده ومن هناك سار على بك وعبد الله بك والخدم يفتشون ويحثون عنه هنا وهناك حتى علموا يقينا أنه حبس في ٥ن قسم الازبكيه

فلطم والده وجهه بيديه وقد كساه الخجل فتندت جبهته بالعرق البارد الذى كان يتصبب على وجهه لانه خجل من

علي بك والد الفتاة وأخيراً سار ثلاثتهم من هناك يقصدون القسم المذكور الاستفهام مما أتاه من المنكرات أو المشاجرات التي أدت الى حبسه ليلا

لما علم شفيق بما فعله وقد عاد الى رشده وارتد الى صوابه (وراحت السكره وجاءت الفكرة) بكى وولول كالنساء حتى صار يندب حظه ويلعن تلك المرأة وجعل يتهددها بالقتل لو عثر بها مرة ثانية

وفيما يفكر في حاله ويبكي اذ دخل عليه مأمور القسم ووالده في حالة الخجل يصحبه علي بك والد الفتاة ويتبعهما الخدم فوجدوه على تلك الحالة المخجلة فهناك لعنه أبوه ووبخه وأنبه بكلام قارص أما هو فقد رأى والد الفتاة يحملق اليه بانظاره فالتصق بالحائط وأدار وجهه خجلا وأخذ يبكي

ومن ثم عاد ثلاثتهم وافترقوا وقد صدق علي بك كلام ابنته وأثبت ذلك مشاهدته اياه في هذا الحبس

وأخيراً سار كل الى منزله وقد عول علي بك على فك الخطبة حالا حتما

....

وما أضحى ضحى اليوم الثانى حتى أصلح علي بك من نفسه وذهب الى منزل عبد الله بك وهناك اجتمع به واعتذر وقال ياعزيزى أن ابنتى قد طال بها زمن المرض وقد أمر الطبيب بعدم زواجها حتى تبرأ مما هي فيه فاضطرب والد شفيق لهذا الكلام لانه كان يتوقعه آنا بعد آن فوجم عن الكلام بالمرة وأنئذ في منزل عبد الله بك وفى نفس ذلك الوقت أرجع والد الفتاة ما أخذه من المهر وفسخ العقد وبعدئذ سلم وقام منصرفا

وعاد علي بك وأخبر ابنته بهذا الخبر فانفجرت دموع الفرح من مآقيها وقبلت والدها وبكيت فرحا وأخيراً أرسلت وأخبرت زكيا بذلك

مضى على هذة الحادثة بضعة شهور خرج أثنائها شفيق من حبسه فعاد الى منزله فوجد أن الباب أقفل من دونه وقد كان والده أعلن خبر تبرئه منه وانه أصبح غير مسئول عنه

فاستشاط شفيق حنقا وترصد لزكى فى زاوية على منعطف الطريق فصادفه خارجا من منزل وهيبة ليلا فأطلق عليه مسدساً وأفرغه فيه فأخطأه وانما أصابه بجرح بليغ في

ذراعه الايمن

وحالا قبض عليه وأودع السجن ثانية تحت التحقيق وقد تقرر لزكى علاجا مدة خمسة عشر يوما

ولما برئ من جرحه وعادت اليه قوته حضر الجلسة التي انعقدت بمحكمة الجنح والجنايات بالازبكية وهناك حكم على شفيق بالحبس مدة خمسة أعوام ولما انتهت مدة حبسه خرج من سجنه بحالة يرثى لها قلب الجماد فكان كسير النفس حزين القلب لان والده كان قد توفى أثناء هذه المدة وقد كتب وأوصي بجميع أمواله لاخوته البنات

فذهب الى أمه ووقع على أقدامها باكيا مسترحما فرقت اليه وحنت عليه وارجعته اليها ثانيا

أما زكى بطل روايتنا فكان قد افتتح محله الصناعى واشتغل فيه بهمة لا تعرف الملال فاتسعت دائرة أشغاله ونجح نجاحا باهرا أبهر عيون جميع معارفه

وبعد مدة وشفيق فى سجنه تزوج زكى بوهيبة (غادة المصيف) وعاشا مع بعضهما في أهنأ عيش وأرغد عيشة وقد من الله عليهما بطفلين هما الطهارة بعينها والجمال بجميع أوصافه

والوداعة بكل معانيها

أما شفيق فقد تزوج في أواخر أيامه بامرأة شمطاء لم ترق في عينيه ولكنه تجلد لحكم الزمان لانه أصبح فقيرا لا يملك ماعلى جسمه من الثياب فكان كلما ضاقت به المعيشة ولم يجد مايسد به الرمق يبكي ويقول

(١)جنيت على نفسي فعشت منغصا وهذا جزاء المستبد بعقله
فلو استمعت كلام أمي ووالدي لاصبحت سلطانا يلذ بدخله
فتعسا للعقوق وللتطوح في الخنا وتعسا لمخبول الفؤاد وفعله

﴿ الخاتمة ﴾

كان المتنزه بضواحي مصر في نواحي عزبة الزيتون يرى قصرا جميلا قام في هاتيك البقاع بين المزارع والحقول وهو كأنه الملك الحامي لتلك الارجاء

فلو سار المتنزه الى جانب حديقة هذا القصر ونظر الى داخل الحديقة من خلال درابزونها لكان يرى رجلا وامرأة وامامهما طفلان يلعبان بين أفنان هذه الحديقة

(١) للمؤلف

أما الرجل والامرأة فهما زكى وزوجته وهيبة (غادة المصيف) وأما الطفلان فهما ثمرة زواجهما السعيد

وقد عاش أربعتهم بعيش رغيد وهناء مستزيد الى ان أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من يغير الاحوال ولا يتغير فهو الاول والآخر

﴿ انتهت ﴾

وسيتبعها ان شاء الله رواية (الوصي المحتال) أوجاك برسييه
وهى رواية خيالية أدبية غريبة الوقائع مدهشتها
فصولها الادبية جميلة جداً تلذ قارئيها
ويستفيدون منها أداب الاجتماع
وحسن المحاضره

﴿ تنبيه ﴾

وقعت بعض غلطات مطبعيه لا تخفي علي فطنة القراء